# المكانة الوجودية للذات والآخر
# في الرؤية اليهودية للعالم


الدكتور علاء هيلات

أستاذ مشارك في العقيدة ومقارنة الأديان
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

## الملخص

يتناول هذا البحث دراسة المكانة الوجودية للذات اليهودية الجمعية، مقابل المكانة الوجودية للآخر ، وذلك من خلال الرؤية اليهودية للعالم والأنسان، اعتمادا على المصادر الدينية التي كونت الفكر الديني اليهودي وأهم الرؤى الفكرية الدينية اليهودية، والبحث في أهم المقومات والمقاصد التي كونت هذه المكانة الوجودية، ويدرس أهم آثارها على مستوى الرؤية اليهودية للعالم ومدى تأثيرها فيها، وتأثيرها على المستوى الإنساني، والمستوى الاجتماعي والديني، وذلك من خلال توظيف المنهج الاستنباطي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج النقدي.

وتوصل البحث إلى عدد من النتائج المهمة من أهمها: أن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والأخر أثرت تأثيرا سلبيا كبيرا في طبيعة الرؤية اليهودية العامة والشاملة للعالم والإنسان، وفي الفكر اليهودي وسلوك الإنسان اليهودي إنسانيا واجتماعيا ودينيا، وعدم توافقها مع مقومات الحياة الإنسانية والاجتماعية والفطرية العادلة، والتي أدت إلى تفكيك المفاهيم اليهودية الإنسانية وتفكيك العلاقات الاجتماعية التي تربط اليهودي بالآخر.


**الكلمات المفتاحية:** المكانة الوجودية، الذات اليهودية، الآخر غير اليهودي، الرؤية اليهودية للعالم.

***Summary***

*This paper deals with the existential position of the collective Jewish self in contrast to the existential position of the other. This will be apprehended through the Jewish view of world and man, based on the religious sources that formed Jewish religious thought along with the most important Jewish religious intellectual views. This papers further studies the key features and purposes that formed this existential position and the most important effects it had on the Jewish worldview and the extent of its influence on it, along with its impact on the human, social and religious levels. Deductive, descriptive, analytical, and critical approaches will be implemented in this regard.*

*This paper achieved several important results, most prominently: that the Jewish vision of the existential status of the self and the other had a significant negative impact on the nature of the general and comprehensive Jewish view of the world and man, and on Jewish thought and the behavior of the Jewish human being; humanely, socially, and religiously, resulting in its incompatibility with the requirements of just human, social, and natural life. This led to the dismantling of the Jewish concepts of humanity and social relations that links the Jew to the other.*

***Key words:*** *Existential status, the Jewish self, the non-Jewish other, the Jewish worldview.*

**المقدمة**

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين أجمعين.

أما بعد،

فإن تصور المكانة الوجودية للذات اليهودية مقابل المكانة الوجودية للآخر في هذا العالم تُعد من أهم القضايا المحورية والأساسية التي بُنيت عليها مقومات الرؤية اليهودية الشاملة للعالم، وأكثرها حضورا في الفكر الديني اليهودي على مدى تاريخه الطويل ومصادره الدينية التي أسهمت بشكل مباشر في تكوين هذه الرؤية، سواء في طور المراحل التأسيسية لهذه الديانة، وفي المراحل التاريخية الطويلة التي مرت على اليهود وتحولاتها التاريخية المؤثرة في تصورهم لهذه المكانة وانعكاساتها على مصادرهم الدينية، وانعكاساتها على النبوءات المستقبلية التي تضمنتها كثير من الرسالات النبوية والتي نبأت بمستقبل هذه المكانة الوجودية وحددت كينونتها ومقوماتها الدينية والتاريخية بصورة حتمية.

لقد تضمنت الرؤية اليهودية للعالم أصولا دينية وعقدية أساسية، كونت في مجموعها وأنتجت تصورا شاملا عن المكانة الوجودية للذات اليهودية في العالم، ومقومات هذا التصور، وأسباب ودوافع تكوينه الدينية والتاريخية والنفسية، وشكلت هذه الأصول العامل الأساسي في تكوين الرؤية اليهودية لمكانة الآخر في هذا العالم ومقاصد وجوده مقابل وجود الذات اليهودية، وطبيعة الرؤية الدينية والدنيوية للآخر، ومحددات العلاقات اليهودية به، ومكانة الذات اليهودية في هذه العلاقة، سواء في الماضي التاريخي وصولا الى الحاضر، أو في مستقبلها القادم.

ولهذا وجدتُ أن هذا التصور الديني اليهودي المحدد للمكانة الوجودية للذات اليهودية في العالم مقابل الآخر، يستحق الدراسة والبحث، سواء من خلال استنباط المقومات التي تشكل البنية الأساسية لهذا التصور، واكتشاف علاقة هذا التصور الخاص بالرؤية اليهودية الشاملة والعامة للعالم، واستنباط اهم الأسباب والدوافع التكوينية التي

أدت الى تكوين هذا التصور في الرؤية الدينية اليهودية للعالم، وآثاره في تحديد طبيعة العلاقات اليهودية بالآخر واستشراف مستقبلها وكينونتها القادمة.

**أهمية البحث:**

**أولا:** أنه ينتقل من البحث التقليدي في دراسة الموقف اليهودي من الآخر إلى دراسة مقومات مكانة الآخر ووجوده في العالم حسب التصور اليهودي مقابل مقومات مكانة وجود الذات اليهودية.

**ثانيا:** أنه يسهم في إثراء البحث العلمي حول الرؤية اليهودية للعالم وأهم المحاور التصورية الدينية التي بُنيت عليها وتكونت من خلالها، وأهم الدوافع الدينية والتاريخية والنفسية التي أثرت في إنتاجها.

**ثالثا:** أنه يدرس علاقة تصور الفكر الديني اليهودي للذات اليهودية الجمعية مقابل الآخر، بالرؤية اليهودية الشاملة للعالم، وآثار هذا التصور في هذه الرؤية وفي العلاقة مع الآخر.

**أسئلة البحث:**

**أولا:** ما أهم مقومات التصور اليهودي للمكانة الوجودية للذات اليهودية الجمعية والآخر في العالم؟

**ثانيا:** ما علاقة مقومات التصور اليهودي للمكانة الوجودية للذات والآخر بالرؤية اليهودية العامة للعالم؟

**ثالثا:** ما أهم الدوافع التي كونت التصور اليهودي للمكانة الوجودية للذات والآخر؟

**رابعا:** ما أهم الآثار الناتجة عن هذا التصور اليهودي للمكانة الوجودية للذات والآخر على المستوى الإنساني والاجتماعي والحضاري؟

**أهداف البحث:**

**أولا:** استنباط مقومات المكانة الوجودية للذات اليهودية والآخر في الرؤية اليهودية للعالم والإنسان

**ثانيا:** استنباط أهم الدوافع المؤثرة في تكوين مقومات المكانة الوجودية للذات والآخر في الرؤية اليهودية للعالم

**ثالثا:** استنتاج آثار التصور اليهودي للمكانة الوجودية للذات والآخر في الجوانب الإنسانية والاجتماعية والحضارية والدينية.

**ما يضيفه البحث:**

**أولا:** تكوين دراسة تأصيلية حول مقومات مكانة وجود الذات اليهودية والآخر في العالم حسب الرؤية اليهودية للعالم، وتجاوز البحث التقليدي في الموقف اليهودي من الآخر.

**ثانيا:** تكوين تصور معرفي وعلمي عن علاقة الرؤية اليهودية للعالم بأهم المحاور المؤثرة في هذه الرؤية وهو المكانة الوجودية للذات اليهودية في العالم.

**ثالثا:** تحليل أهم الدوافع الدينية والتاريخية والنفسية في رؤية اليهودي لذاته اليهودية ومقاصد وجودها في العالم مقابل مقاصد وجود الآخر.

**الدراسات السابقة:**

إن الدراسات العربية والأجنبية ودراسات بعض اليهود التي اهتمت بدراسة موقف الديانة اليهودية ومصادرها وموقف اليهود من الآخر، لها حضور كبير في المجال العلمي المتخصص بالدراسات الدينية، ولكني لم أجد –فيما اطلعت عليه – دراسة مستقلة وخاصة تناولت نفس الإشكالية التي يهدف هذا البحث لدراساتها وهي: استنباط المقومات التي تكونت من خلالها الرؤية اليهودية لمكانة الذات اليهودية الجمعية في هذا العالم وفي هذه الحياة، ومقاصد وجود هذه الذات مقابل مقاصد وجود الآخر في العالم ومقوماتها.

إن مقومات ومقاصد وجود الذات اليهودية والآخر في العالم تُعد –في نظري– من أهم مصادر وأسباب ودوافع الموقف اليهودي من الذات والآخر، إلا أن الدراسات التي اهتمت بالفكر الديني اليهودي ومصادره اتجهت لدراسة الموقف من الآخر قبل البحث في الرؤية اليهودية لأسباب ومقاصد وجود الذات والآخر، فاهتمت بدراسة وتحليل النتيجة قبل دراسة أهم مقدمة من مقدماتها، وأهم مصدر من مصادرها، ولهذا لم أظفر بدراسة حول هذا الموضوع، ولم أظفر كذلك بدراسة مستقلة حول الرؤية اليهودية للعالم أو دراسة تحمل هذا العنوان.

**منهج البحث:**

**أولا: المنهج الاستنباطي:** وذلك من خلال استنباط أهم المقومات والمقاصد الوجودية التي أسهمت ببناء التصور اليهودي لمكانة الذات اليهودية ومقاصد وجودها في العالم مقابل مقاصد وجود الآخر.

**ثانيا: المنهج الوصفي التحليلي:** وذلك من خلال وصف هذه المقومات ومقاصدها الوجودية، وتحليل اهم الأفكار الدينية التي تكونت من خلالها.

**ثالثا: المنهج النقدي:** وذلك من خلال نقد هذا التصور وتبيان أثره في علاقة الذات اليهودية بالآخر على مستوى الرؤية اليهودية للعالم، وعلى المستوى الإنساني والاجتماعي والحضاري.

**خطة البحث:**

لأجل تحقيق النتائج المرجوة من خلال هذه الدراسة، قمت بتقسيمها إلى: تمهيد، ومبحثين وستة مطالب وخاتمة، كما هي موضحة بعناوينها في الآتي:

**تمهيد:** الرؤية اليهودية للعالم ومقوماتها العامة

**المبحث الأول:** مقومات المكانة الوجودية " للذات " في الرؤية اليهودية للعالم

**المطلب الأول:** إصلاح الخلل الكوني

**المطلب الثاني:** إقامة مملكة إله اليهود في الأرض

**المطلب الثالث:** حكم العالم والسيادة على أمم الأرض

**المبحث الثاني:** مقومات المكانة الوجودية "للآخر" في الرؤية اليهودية للعالم

**المطلب الأول:** الإذعان لمهمة اليهود الخلاصية للعالم وإصلاح الخلل الكوني فيه

**المطلب الثاني:** الإذعان لمملكة إله اليهود في الأرض وطاعة شريعتها

**المطلب الثالث:** الاعتراف بحق اليهود في حكم العالم والإذعان لسيادتهم على أمم الأرض

**الخاتمة:** آثار التصور للمكانة الوجودية للذات والآخر في الرؤية اليهودية للعالم

**تمهيد:**

**الرؤية اليهودية للعالم ومقوماتها العامة**

إن المفهوم العام لرؤية العالم يتمثل بالصورة الكلية التي يكوّنها الإنسان لنفسه عن نفسه وعن العالم من حوله، في حدود الموقع الذي يحاول منه تحديد هذه الرؤية، وزاوية النظر التي يتخذها، والبيئة الطبيعية والنفسية والاجتماعية والنظام الفكري بمكوناته الثقافية وأطره المرجعية، وهذه الصورة الكلية هي التي تعرف الإنسان عندما ينظر الآخرون إليه من الخارج وتعرفه هو لنفسه وللأشياء من حوله.[1]

وإذا كانت رؤية العالم تتكون أساسا من خلال تصورات الإنسان ومدركاته ومعتقداته عن نفسه وعن العالم، فإن بالإمكان التمييز بين المستوى الذاتي الخاص بالإنسان نفسه والمستوى الموضوعي الخاص بالعالم الذي يحاول الإنسان إدراكه، [2] ولذلك فإن الرؤية اليهودية للعالم تمثل تصورات الإنسان اليهودي ومعتقداته عن نفسه وعن العالم وأشيائه من حوله، والتي تحولت إلى صورة كلية أسهمت في تكوينها البيئة الطبيعية التي عاشها الإنسان اليهودي، والخصائص النفسية التي كونت ذاته الإنسانية والدينية ونظامه الاجتماعي والفكري والثقافي، المنبثقة عن الأطر المرجعية الدينية والفكرية التي آمن بها ، والتي رسخ من خلالها هذه الصورة الكلية.

لهذا يُطلق الدكتور عبد الوهاب المسيري على هذه الرؤية مصطلح "كوزمولوجي" ويعتقد أنها تشير إلى النظرية أو الفلسفة الخاصة بطبيعة ومبادئ الكون والتأملات الخاصة بأصل العالم وتطوره وبنيته، ويعتقد أن اليهودية ترى أن الإله هو خالق هذا العالم، وما سوى هذه الرؤية هو أمر خلافي بين الأنساق الدينية اليهودية المتعددة، والمرجعيات اليهودية الدينية المتناقضة في كثير من الأحيان، تصل إلى التناقض في معنى العالم نفسه، ويعتقد أنه لا يمكن في العصر الحاضر الحديث عن رؤية يهودية

---

1 – ملكاوي، فتحي حسن – رؤية العالم، حضور وممارسات في الفكر والعلم والتعليم – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان، الأردن – ط 1، 2021 م – ص 46.

2 – المرجع السابق – ص 48.

واحدة للكون نتيجة لتنوع المصادر الفلسفية للمفكرين الدينين اليهود، وانقسام اليهودية إلى عدد من الفرق المختلفة في رؤيتها للعالم بشكل جوهري. [1]

ومع ذلك فإن عددا من الباحثين يرون أن هناك محورا عاما وأساسيا للرؤية اليهودية العامة للعالم، على الرغم من الاختلافات الكثيرة في تفاصيل وتفاسير جزئيات هذه الرؤية العامة، من أهمهم "آلبان ويد جري" الذي عمل على تحديد الرؤية اليهودية العامة للعالم والتي أطلق عليها " أفكار اليهود حول طبيعة التاريخ وموقفهم منه "، في كتابه " التاريخ وكيف يفسرونه.. "، ولذي حاول فيه تحديد رؤية عدد من الأديان الكبرى على مستوى العالم للتاريخ والتي تضمنت رؤية هذه الأديان للعالم بشكل عام وقارن فيما بينها وبين أثرها في البناء الحضاري.

وذكر أن محتويات الأسفار اليهودية التاريخية وطريقة عرضها تدل على أن اليهود كانوا على اهتمام بشيء أعمق من مجرد تسجيل الأحداث، وهو "تفسير الأحداث" من حيث اتجاهات من ورد ذكرهم فيها، وما يدخل تحت ذلك من علاقات ضمنية بالإله،[2] وإن نظرة اليهود الأساسية للتاريخ تقوم في أوسع شموليتها على المذهب التأليهي والسيطرة الإلهية، وأن التاريخ البشري يرجع إلى الإله، ومثلما تضمن تقرير السعادة بدخول الجنة فقد تضمن تقرير الشر بالخروج منها ، وأن للإنسان مطلق الحرية في طاعة الإله أو عصيانه ، وإن ابتعاد الإنسان عن الإله بسب المعصية هو أصل الشر وأساسه.[3]

وبين أن تصور اليهود للإله لم يتم فيه الخلط بين الإله وخليقته، على أساس أنهم يمثلون شيئا واحدا، ومع ذلك فإن اليهود اعتقدوا بأنهم شعب الإله المختار، على الرغم من أن فكرتهم عن التاريخ ليست ذات نزعة فردية، وإنما هي فكرة تدور حول شعب إسرائيل أولا ثم حول البشرية عامة، وإن نظرتهم للحياة تنزع إلى الحياة نحو الاتجاه

---

1 – انظر: المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دار الشروق، القاهرة– ط 1، 1999م –ج 5 – ص 16

2 – انظر: جري، ألبان ويد – التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس الى توينبي – ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد – الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة – ط 2 – ج 1 – ص 149.

3 – المرجع السابق – ص 149

الدنيوي الذي لا يدعوا إلى الفرار من العالم في أية صورة من صور حياة الدير القائمة على الزهد.[1]

فنجد أن "آلبان ويد جري" يحاول صياغة رؤية يهودية عامة للعالم والتاريخ، تكون محل اتفاق بين اليهود بصورة عامة على الرغم من اختلافاتهم حول بعض جزئيات وتفصيلات هذه الرؤية، فيعتقد أن الرؤية اليهودية للعالم والتي يطلق عليها "الرؤية للتاريخ والموقف منه" تقوم على مقومات أساسية من أهمها: الرؤية اليهودية للكون ومن خلقة وكيف تم خلقه، والإله وعلاقته بالإنسان، والإنسان وحياته ووجوده وأهم العقبات التي تؤثر في علاقة الإنسان بالإله ثم تؤثر في وجود الإنسان في الحياة، والأسباب التي تؤدي إلى ألم الإنسان في الحياة، والسنن والحكم الإلهية التي أقرها الإله في الحياة ، ومفهوم الفضيلة فيها ، ومهمة اليهود الوجودية في مستقبل الحياة الدنيا، مقابل أسباب وجود البشرية فيها – وهي الإشكالية التي يتوجه هذا البحث لمعالجتها– والتي تعد جزءا من الرؤية اليهودية للعالم في نظر آلبان ويد جري .[2]

وقد عملت "كاثرين آرمسترونغ" في كتابها " الله والإنسان" على تحديد رؤية اليهود للعالم من خلال تحديد الرؤية اليهودية للإله وجميع العلاقات التي ترتبط بهذه الرؤية، كعلاقة الإله بالكون والحياة والإنسان اليهودي والإنسان غير اليهودي، وعلاقة الإله بالزمن الماضي والحاضر والمستقبل، والتصورات البشرية الوجودية المرتبطة بهذه الأزمنة، سواء للإنسان اليهودي أو غير اليهودي، وذلك ضمن حديثها عن رؤية عدد كبير من الأديان العالمية الكبرى للإله، وتفاصيل هذه الرؤية وفلسفتها والتي تُعد ركنا مهما من أركان الرؤية الدينية للعالم الخاصة بهذه الأديان .[3]

وقد عملت عدة دراسات فكرية دينية على محاولة تحديد الرؤية اليهودية العامة أو الشاملة للعالم وأهم أركانها، ولكن ليس من خلال دراسات مستقلة بهذه الغاية، وانما

---

1 – المرجع السابق – ص 150 – 155

2 – المرجع السابق – ص 149 – 160.

3 – راجع: آرمسترونغ، كاثرين – الله والانسان، على امتداد 4000 سنة من إبراهيم حتى العصر الحاضر – ترجمة محمد الجورا – دار الحصاد، دمشق – ط 1، 1996 م

من خلال الدراسات الدينية الفكرية المقارنة بين اليهودية وعدد كبير من الأديان الكبرى او المؤثرة على مستوى العالم.

واعتقد أن موسى بن ميمون القرطبي يُعد من أهم علماء اليهود الذين عملوا على تحديد الرؤية اليهودية للعالم وأهم مقوماتها وأركانها، وأصل وجود العالم من ناحية القدم أو الحدوث، وخلق الإنسان فيه ومقاصد خلقه، وكيفية فهم دلالات هذا الخلق، ومكانة الذات الإلهية ومنهجية فهم صفاتها وعلاقتها بالعالم، ومكانة الشريعة اليهودية ومقاصدها فيه، وواجبات الإنسان اليهودي تجاهها وكيفية فهمه لمقتضياتها، من خلال الرؤية الدينية الحاخامية، في كتابة "دلالة الحائرين"، والذي قرر فيه عددا كبيرا من التقريرات العقدية المتصلة بهذه الرؤية والتي من أهمها إثباته أن نظرية فساد العالم وانتهائه في المستقبل ليست من القواعد الشرعية في الديانة اليهودية، وغيرها من التقريرات التي تستحق الدراسة والبحث في مجال الرؤية اليهودية الحاخامية الشاملة للعالم. [1]

وإنه ليس من مهمة هذا البحث التوسع في ذكر هذه الدراسات واهم ما توصلت إليه في هذا الموضوع المهم، –وقد أقوم بدراسة هذه المسألة في بحث مستقل قادم بإذن الله تعالى–، ولكن من مهمة هذا البحث التعريف بالرؤية اليهودية للعالم وأهم المقومات التي تتكون منها هذه الرؤية والتي تُعد قضية مقاصد وجود الذات اليهودية ومكانتها في هذا العالم مقابل مقاصد وجود الآخر ومكانته في العالم من أهم مكونات ومقومات هذه الرؤية وهي الجزئية التي يتوجه هذا البحث لدراستها.

ولذلك يمكن الاستنتاج بأن الرؤية اليهودية للعالم تعتمد على خمسة عناصر أو مقومات أساسية، ترتبط بها تصورات وعقائد متعددة أدت إلى تكوين بنيتها الدينية وحولتها من مجرد معتقد إلى رؤية شاملة عن العالم والحياة والإنسان، وهي:

**أولا: الرؤية اليهودية للإله،** وتتكون من مجموعة التصورات والعقائد المرتبطة بها، ومن أهمها: مكانة الذات الإلهية، وماهية صفات الإله ومنهجية فهمها، وعلاقة

---

1 – راجع: القرطبي، موسى بن ميمون– دلالة الحائرين– ترجمة حسين اتاي – مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – ط 2002 م.

الإله بالإنسان اليهودي، وموقفه من غير اليهودي، والوحي الإلهي وعلاقته بالنبوة والأنبياء ورسالاتهم ومقاصدها، والكتب المقدسة وعلاقتها بالوحي والأنبياء ومقاصدها.

**ثانيا: الرؤية اليهودية للكون**، ومجموعة التصورات والعقائد التي بنيت عليها هذه الرؤية ومن أهمها: أصل الكون ومقاصد وجوده، وعلاقته بحياة الشهادة وحياة الغيب، وعلاقته بالزمن من ناحية ابتدائه وانتهائه وكيفياتها.

**ثالثا: الرؤية اليهودية للحياة**، ومجموعة التصورات والعقائد التي بُنيت عليها هذه الرؤية ومن أهمها: مفهوم الحياة ومقاصد وجودها، وعلاقة الإنسان بها من ناحية الخير والشر والسعادة والشقاء والفضيلة والرذيلة، وطبيعة السنن التي أوجدها الإله في مسيرتها من بداية تاريخها إلى مستقبله القادم.

**رابعا: الرؤية اليهودية للإنسان**، وهي الرؤية الخاصة بالجانب الوجودي للإنسان، وتتقسم إلى اتجاهين: الرؤية اليهودية للإنسان اليهودي، والرؤية اليهودية للإنسان غير اليهودي، وأصل خلق الإنسان اليهودي وغير اليهودي، وأسباب ومقاصد وجود كل منهما، ومكانة وجود كل منهما بالنسبة للإله وبالنسبة للحياة وبالنسبة للعالم، والمهمة والوظيفة الوجودية لكل منهما سواء في الحياة كموضوع أو في الحياة كتاريخ.

**خامسا: الرؤية اليهودية لمصير الإنسان بعد الموت**، وهي الرؤية الخاصة بالجانب ما بعد الوجودي للإنسان، وتتضمن مجموعة من العقائد والتصورات من أهمها: مفهوم الموت، والبعث، والجزاء والعقاب، والجنة والنار، وغيرها من العقائد المتعلقة بكل ما يتصل بالإنسان بعد موته.

ويتخصص هذا البحث في دراسة إحدى الجزئيات المكونة للركن الرابع من أركان الرؤية اليهودية للعالم وهي: الرؤية اليهودية للإنسان، من خلال دراسة أهم المقومات والمقاصد الدالة على مكانة الإنسان اليهودي والإنسان غير اليهودي في هذا الوجود.

## المبحث الأول:

## مقومات المكانة الوجودية " للذات " في الرؤية اليهودية للعالم

سأتحدث في هذا المبحث عن مكانة الذات اليهودية الجمعية أو الانسان اليهودي في الوجود المشهود، ومقاصد وجوده في هذا العالم ودوره ووظيفته فيه حسب الرؤية

اليهودية للعالم، وكما اتضح في التمهيد فإن هذه القضية المهمة والمحورية تعد من جزءا أساسيا من المقوم الرابع من مقومات الرؤية اليهودية للعالم وهي الرؤية اليهودية للإنسان.

وبعد والبحث والدراسة لهذا الموضوع وجدت أن مكانة الذات اليهودية الجمعية في هذا الوجود تقوم على ثلاثة مقاصد أساسية وهي: المقصد الأول: إصلاح الخلل الكوني الذي أصاب الكون، المقصد الثاني: إقامة مملكة إله اليهود في الأرض، حكم اليهود للعالم والسيادة على أمم الأرض، وسأتناول هذه المقاصد الثلاثة وأهم الأفكار التي تكونت من خلالها أو أدت لوجودها بالبحث والدراسة والتحليل فيما يأتي.

**المطلب الأول:**

**إصلاح الخلل الكوني**

وهو المقصد الوجودي الأول الذي تنص عليه الرؤية اليهودية للعالم ومكانة الذات اليهودية فيه، ويُعد مقصدا محوريا وأساسيا لأجله أوجد الإله الشعب اليهودي في هذا العالم، والذي يدل على أن المكانة الوجودية لهذا الشعب في هذا العالم تتمثل بدورهم ومهمتهم في إصلاح الخلل الكوني الذي أصابه، حيث يسود الاعتقاد في الفكر الديني اليهودي أن فكرة وجود الإله نفسه ووجود الكون ووجود الشعب اليهودي فيه، تركز على أن وجود هذا الشعب يعد ضرورة إلهية، وصورة محورية من صور التجليات الإلهية في هذا الكون، وضرورة كونية لإصلاح العلاقة بين البشرية وبين الإله، والتي تسبب وجود الخلل فيها إلى وجود خلل كوني شامل بين البشرية جمعاء والحياة وطبيعة وجودهم فيها، حيث أدى وجود هذا الخلل إلى تفشي الفساد والأمراض والكوارث والحروب بين الأمم.

وأن السبيل الوحيد للتخلص من هذا الخلل وما ينتجه من كوارث وفساد في الحياة البشرية والوصول إلى السلام العالمي والحياة المستقرة، هو قيام الشعب اليهودي بدوره ووظيفته ومهمته التي أوجده الإله لأجل تحقيقها وهي إصلاح هذا الخلل الكوني، عن طريق إصلاح العلاقة بين الإله والوجود الإنساني الشامل، عن طريق الالتزام بالشريعة اليهودية وإحياء العبادات اليهودية، وإحياء المكانة اليهودية في هذا العالم، وإيمان الأمم والشعوب بهذه الوظيفة وتمكين اليهود والإذعان لهم بتأديتها.

وإن من أهم الرؤى الدينية اليهودية التي كونت تصورا شاملا عن مقاصد وجود الذات اليهودية الجمعية في العالم، والتي أثرت تصوراتها في البنية الدينية اليهودية بشكل عام، ورؤيتها للعالم وللذات اليهودية هي الرؤية القبّالية، التي تؤكد على أن الشعب اليهودي يمثل حالة الوساطة بين الإله وبين أمم العالم في عملية إصلاح الخلل الكوني الذي أصابه، وذلك من خلال رؤيتها الفيضية للخير والشر والإنسان ولعلاقة الإله بالبشرية وبالشعب اليهودي ومكانة كل منهما في هذا العالم.

حيث تنص هذه الرؤية الفيضية على أن هذا العالم لم يُخلق من العدم، ولم يُخلق دفعة واحدة، وإنما خُلق بصورة تطورية تركيبية، عن طريق الفيض الإلهي، وأن الإله أوجد نفسه وأعلن عن نفسه للعالم من خلال عدة مراحل تطورية ومركبة في داخل الزمن، والتي من خلالها أوجد العالم وأوجد شعبه المختار فيه، وأظهر نفسه للعالم من خلال هذا الشعب، وذلك من خلال عدة مقدمات كونية وجودية.

**المقدمة الأولى:** أن الوجود الإلهي كان في حالة أو مرحلة العلة الأولى أو مفهوم الإله اللانهائي أو اللامحدود الذي لا يستطيع العقل الإحاطة به، وهي الحالة أو المرحلة التي كان الإله فيها متخفيا ومنفصلا عن العالم حتى قبل وجوده، والتي يُطلق علها: "العدم الإلهي" أو "التخفي الإلهي المطلق"، ولا يستطيع الإنسان أن يدركه أو يدرك وجوده أو يصل إليه بحال من الأحوال. [1]

**المقدمة الثانية:** انبثاق الأنا الإلهية من حالة العدم الإلهي، وهي المرحلة التي بدأ الإله فيها يعبر عن نفسه في العالم، ويمكن أن يعبر عن كيانه الإلهي من خلالها للبشر بعد أن يخلقهم، وهي المرحلة التي تعبر عن الإله المكتمل المتجلي، الذي يعبر عن كماله المطلق في العالم، وهي المرحلة التي يمكن للإله أن يقول فيها لنفسه وذاته " أنا " وهذه الأنا هي الـ " شيخيناه " التي تمثل أو ترتبط بجماعة إسرائيل، وهي المرحلة التي يجد فيها الإله نفسه، والتي من خلالها انبثق من ذاته وظهر من العدم إلى العلن،

1 - انظر - المسيري، عبد الوهاب - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - ج 5 - ص 256، وانظر - معدي، الحسيني- القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم - دار الكتاب العربي - دمشق - القاهرة - ط 1 - 2007 م - ص 91 - 92.

وظهرت هذه الخاصية العلوية السماوية التي تشكل بداية الفيض الإلهي والتي أطلق عليها فيما بعد الإرادة الإلهية. [1]

فيظهر من خلال هذه المرحلة أن الإله يعلن عن نفسه للعالم من خلال شعب إسرائيل، وأن هذا الشعب يمثل بداية الفيض الإلهي في هذا العالم، وبداية تمثل الإرادة الإلهية فيه.

**المقدمة الثالثة:** وهي تمثل المرحلة التي تبدأ فيها سلسلة الفيض الإلهي والتي تنبثق من الإرادة الإلهية وتسمى "السيفروت " وهي القدرات الإلهية الكامنة التي تتحول إلى القداسة المتجلية، والتي تأخذ شكل اشعاعات صادرة من النور الذاتي للإله على هيئة تجليات، وهذه الاشعاعات هي التي أوجدت العالم، وتمثل مراحل التجلي الإلهي والصفات الإلهية ودرجات الوجود الإلهي، وهذه الدرجات تشكل الوساطة بين الكون والإله وتكوّن حلقة الوصل بينهما وتسمى أيضا بـ " التجليات النورانية العشرة ". [2] . [3]

**المقدمة الرابعة:** أن هذه التجليات النورانية العشرة تمثل جانب الخير، وأن هناك جانب آخر للكون يمثل جانب الشر وفيه تجليات عشرة معاكسة ومضادة لهذه التجليات، وتمثل قوى مظلمة دنسة تعادي قوى القداسة والخير، وتدخل في صراع شديد معها للسيطرة على العالم، وإن هذه القوى الشريرة والمظلمة والشيطانية أو التجليات المضادة

---

1 - المرجع السابق - ج 5 - ص257

2 - المرجع السابق - ج 5 - ص 257

3 - التجليات النورانية العشر التي تشكل سلسلة الفيض الإلهي وخلق العالم هي: (1. كيتر - أي التاج الأعلى وهو الاله الخفي 2. حوخمه- أي الحكمة وهي الفكر الإلهي الكوني 3. بيناه - وهي الفهم وهي عكس الحكمة فهو العقل المميز بين الأشياء 4. جيدولاه - أي العظمة ويعبر عنها أحيانا بالحب الفائض او الرحمة 5. جبوراه - أي القوة والسلطة وهي مصدر الحكم الإلهي والشريعة 6. تفئيريت - أي الجمال والجلال وهو التجلي الذي يتوسط كل التجليات ويتوسط بين العالم والرحمة الإلهية 7. نيتسح - أي التحمل او الازلية او النصر 8. هود - أي الجلالة او المجد او العظمة 8. يسود عولام - أي أساس العالم ويعبر عنه أحيانا بالتساديك او الرجل التقي الذي ترتكز عليه كل التجليات السابقة 10. ملكوت - أي المملكة).

لتجليات الخير نبعت في الأصل عن الإله لكنها انفصلت عنه، وبانفصالها أصبحت قوى شريرة. [1]

**المقدمة الخامسة:** أن الشر هو عبارة عن تحطيم مؤقت وعارض للواحدية الكونية والمطلقة بين الإله والكون، وأنه أصبح يمثل انفصال شجرة الحياة عن شجرة المعرفة على اعتبار أن شجرة الحياة تمثل القداسة والخير الخالص الذي لا يختلط فيها أي دنس أو موت، وهي الشجرة التي كانت تحكم العالم قبل سقوط الإنسان، بينما شجرة المعرفة تمثل الخير والشر معا والطهارة والدنس معا والفضيلة والرذيلة معا، وهي الشجرة التي أصبحت تحكم هذا العالم الآن والموت مرتبط بها.

وإن السبب الأساسي لانفصال العالم عن شجرة الحياة هو أكل آدم وحواء – عليهما السلام– من شجرة المعرفة، والتي بسببها اكتسبا الخير والشر والطهارة والدنس وأصبحا معرضان للموت، وبذلك سببت هذه الواقعة انفصال الإله عن الإنسان وانفصال التجليات المقدسة الخيرة والنورانية عن التجليات الشريرة، وانفصال التجليات العليا عن التجليات السفلى التي كونت الملكوت.

وتسببت هذه الخطيئة الأولى بالانفصال بين الإله والإنسان والذي أدى إلى نفي الـ " شيخيناه" – أي السُكنى والسكينة والطمأنينة – عن العلاقة بين الإله والإنسان والعلاقة بين الإنسان والكون، ثم تم نفيها عن الكون بشكل كامل، إلا أن ارتباطها لايزال قائما بشعب إسرائيل، وهنا وقع الخلل الكوني وظهر كل ما يدل على عكس السكينة والطمأنينة في العالم. [2]

وهنا يحتاج العالم وجميع شعوبه إلى إعادة السكينة إليه، ولكن هذه السكينة ليست مرتبطة بأي شعب أو أمة أو جنس أو عرق إلا بشعب إسرائيل، لهذا فإن جميع شعوب العالم بحاجة لأن يقوم هذا الشعب بدوره ووظيفته في إعادة السكينة لهذا العالم، وذلك

1 – انظر – المرجع السابق – ج 5 – ص 261 وانظر:

*- See – Laitman, Rav Michael - A Guide to the Hidden Wisdom of Kabbalah - LAITMAN KABBALAH PUBLISHERS - Third Edition – 2009 – p 203 – 208.*

2 – انظر – المرجع السابق – ج 5 – ص 261

من خلال إصلاح هذا الخلل الكوني الذي حدث بين الإله والإنسان وبين الإنسان والكون والحياة عن طريق صلواتهم وطقوسهم وشريعتهم، والإذعان لمكانتها في إصلاح هذا الخلل وإصلاح هذه العلاقة.

وأصبحت هذه الفكرة عقيدة أساسية ومحورية في الرؤية القبّالية للعالم، ومكانة الشعب الإسرائيلي فيه، وأثرت في الفكر اليهودي الديني تأثيرا كبيرا، وتسمى عندهم بـ " ه تيقون " أي الإصلاح، وتعني إصلاح الانفصال ورأب الصدع الذي حدث بين الإله والإنسان نتيجة خطيئة الأكل من شجرة المعرفة، والتي من خلالها بدأ الانسان يميز بين الخير والشر فعرف الشر كما عرف الخير تماما. [1]

وقد ورد في "الأجاداه" فكرة أن الإله يعتمد على الإنسان في إعادة تناسق حياة الإله الداخلية لأن عملية الانفصال التي حدثت أدت إلى التأثير في وجود الإله نفسه، حيث سببت انفصال التجليات الشريرة والظلامية عنه، فيصبح الإنسان شريكا للإله بعملية الخلاص الكوني وهذا الإنسان هو محدد ومخصص بالإنسان اليهودي أو جماعة إسرائيل.

وقد تم تطور هذه العقيدة وهذه الرؤية في الفكر الديني اليهودي، من خلال تخصيص أسباب الانفصال في العلاقة بين الإله والبشرية جمعاء بما يقوم به الشعب الإسرائيلي من معاصي وآثام، وتخصيص أسباب الاتصال أو إصلاح العلاقة بين الإله والبشرية جمعاء من خلال ما يقوم به شعب إسرائيل من طاعات وقربات للإله، وما تقوم به شعوب العالم وأممه من معاص وآثام ضد الشعب المختار المكلف بمهمة الإصلاح المتمثل بالتعدي عليهم وظلمهم وهدم مقدساتهم وإنكار دور شريعتهم في عملية الإصلاح.

فلم تعد حادثة أكل آدم وحواء – عليهما السلام – من شجرة المعرفة هي السبب الوحيد التي أدت إلى هذا الانفصال، وإنما أضيف إليها حادثة هدم الهيكل اليهودي في أورشاليم والتي أدت إلى سقوط الكون كله، ولكن بما أن جماعة إسرائيل جزء من الإله وهم يمثلون التجلي العاشر من تجليات السيفروت، وهم جزء فائض عن الإله ومنبثق

1 – انظر – المرجع السابق – ج 5 – ص 262

عن ذاته وتوجد داخله، وهم يمثلون حالة الارتباط الخاص بـ الشيخيناه التي تم نفيها عن الشعب اليهودي، فان نفي اليهود خارج أرض الميعاد له دلالات خاصة تفوق حالة النفي الكونية العامة، فنفيهم يعني تفتت الاله وتبعثره ونفيه.[1]

ولهذا فإن اليهود لهم مكانة مركزية في عملية الخلاص الكوني إذ يتوجب عليهم أن يقوموا بإحياء حياة القداسة، ويحافظوا على تنفيذ التعاليم الإلهية، والتمسك بالشريعة وبذلك يأتي الخلاص لليهود وللعالم كله، بل للإله نفسه، حيث إن الشيخيناه وهي وجه من أوجه الإله وتجل من تجلياته لن تعود إلى الأرض والكون والحياة البشرية إلا بعودتهم، ولن يتم اكتمال وجود الإله إلا بهذه العودة.

يذهب إسرائيل شاحاك إلى أن هذه المنظومة الفيضية أنتجت مفهوم " الابن" المرتبط بالإله والذي يمثله شعب إسرائيل، وانتجبت مفهوم " الابنة" الذي تمثله " الشيخيناه" –السكينة– وأن سقوط آدم عليه السلام بالخطيئة نتيجة تأثير الشيطان بالشيخناه والاقتراب منها بصورة سلبية أدت إلى نفيها عن الحياة الإنسانية ومن ثم ابتعادها عن الوجود الإنساني كله، ولهذا خلق الإله الشعب اليهودي لسد القطيعة التي أحدثها آدم وحواء بين الإنسان والإله.[2]

وقد حدث رأب هذا الصدع وإنهاء هذه القطيعة بصورة مؤقتة عندما تجسد الابن في موسى عليه السلام على جبل سيناء وتلقيه التوراة والتوحد بالابنة " الشيخيناه" ولكن عادت هذه القطيعة نتيجة معصية بني إسرائيل بسبب خطيئتهم بعبادة العجل الذهبي في سيناء، والتي تسببت بتجدد هذا الانفصال بين العالم الإنساني والسكينة، إلا أن توبتهم رتقت شيئا من هذا الانفصال ولكنه لم يتم، ولهذا يرتبط كل حدث في التاريخ اليهودي بعملية الاتصال أو الانفصال بين العالم الإنساني والسكينة بسبب معصية بني إسرائيل أو توبتهم أو طاعتهم لفروض الشريعة اليهودية. [3]

1 – انظر – المرجع السابق – ج 5 – ص 262

2 – انظر: شاحاك، إسرائيل – الديانة اليهودية وموقفها من الآخر – ترجمة حسن خضر – دار سينا، القاهرة – ط 1، 1994 –ص 52

3 – المرجع السابق – ص 52

والنتيجة مما تقدم أن وجود اليهود وأفعالهم تشكل أساسا لاتزان الكون والحياة ولعملية الخلاص الإلهية والبشرية، بل إن رحمة الإله لا تفيض إلا بسبب أفعالهم الخيّرة فتتحول حياة اليهود العادية إلى عملية مقدسة يستند إليها خلاص الكون نفسه.[1]

فلن يصل العالم إلى مرحلة السلام الكامل والشامل والطمأنينة الحقيقة إلا إذا تم عودة الشيخيناه – السكينة– إلى الأرض وحلولها في شعب إسرائيل بعد بناء هيكلهم في أورشاليم وبعد تمكن اليهود من إهلاك الأمم التي أصلها من التجليات الشيطانية، وتبعية أفراد الأمم الذين يمتلكون صفات الخير لليهود، وحلول البركة الإلهية عليهم وبالتالي الطمأنينة والسكينة الكونية.

ولهذا يعتقد اليهود أن وجودهم الذاتي ووجودهم الديني يبلغ قمة الخصوصية في الإرادة الإلهية وأن اليهودية دينا خاصا لليهود وحدهم يقوم على الشريعة اليهودية والاختيار والوعد بالأرض والبقية الصالحة وليس دينا عاما وشاملا للإنسانية جمعاء، يقوم على التنزيه ووجود إله خالق واحد كما هو معروف في كل دين في أصلي التوحيد والعدل، والشريعة وقف عليهم ومن انضاف إليهم من الأمم نال خيرهم ولكنه لا يستوي معهم، لكن الشرع جاء خاصا باليهود بعد الخروج من أرض مصر لاتصال الإله بهم باعتبارهم الصفوة من بني آدم. [2]

ويؤثر هذا المقصد الوجودي على معنى الشعب المختار في الرؤية اليهودية للذات " فالشعب المختار ليس مجموعة من الناس الذين يجري في عروقهم دم يهودي بل هم أولئك الذين يسعون جاهدين لكي يصبحوا عادلين لأنهم بهذا يمثلون الأمل الأخير للإنسانية التي وضعت قدما في الهاوية وتستعد لوضع الثانية ". [3]

---

1 – انظر– المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج 5 – ص 256

2 – هاليفي، يهوذا – الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمة ليلى إبراهيم أبو المجد – المركز القومي للترجمة – القاهرة – ط 1 – 2014 – ص37

3 – غرانوتييه، بيرنار – إسرائيل سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة – ترجمة محمد سميح السيد – مركز الدراسات العسكرية – دمشق ط 1984 م – ص 109.

وهنا نفهم تماما قول صموئيل هيرتزل في بداية كتابه "الدولة اليهودية " عندما بدأ يمهد لتصوره عن قيام الدولة اليهودية الإسرائيلية: " أن الدولة اليهودية ضرورية للعالم ولذلك فسوف تقوم ". [1]

ونجد أن الرؤية القبّالية للعالم ومكانة الذات اليهودية فيها قد أثرت تأثيرا كبيرا في الفكر الديني اليهودي العام والخاص، حيث تتبنى رؤيتها للعالم بصورة مركزية كلية وشاملة عدة فرق وطوائف يهودية اتخذت رؤاها منهجا دينيا وحياتيا وسلوكيا في حياتها، من أهمها الأصولية الحسيدية وكذلك إلى حد بعيد الأصولية الحريدية مع وجود بعض الاختلافات حول التفاصيل والجزئيات المكونة لهذه الرؤية، مع اتحاد في الرؤية العامة لمركزية الشعب اليهودي في الكون.[2]

وأثرت في إيمان اليهود بشكل عام واعتقادهم بنبوءات آخر الزمان وبالألفية الثالثة، ونظرتها للتاريخ والعالم ومكانة اليهود فيه ومصير الأمم والشعوب غير اليهودية فيه، وأثرت الرؤى القبّالية في كثير من الرؤى الصهيونية المعاصرة التي عملت على إقناع اليهود الأصوليين أنها تقوم بدور المسيح المنتظر وأن أهدافها تتفق مع كثير من الرؤى القبّالية لأرض الميعاد ووجوب هجرة اليهود إليها ومكانة اليهود في العالم ومكانتهم في أحداث آخر الزمان.[3]

وبالعودة إلى أسفار الأنبياء في التناخ اليهودي نجد أن سفر أشعياء قد أستحدث مفهوما جديدا لعلاقة الشعب الإسرائيلي واليهودي بإلههم، وهو مفهوم "الشهادة"، في حين أن أسفار التوراة وبعض الأسفار التاريخية السابقة على سفر أشعياء كانت تؤسس لمفهوم "العبادة"، نجد أن هذا سفر أشعياء انتقل للتأسيس لمعنى جديد في علاقة الشعب الإسرائيلي واليهودي بالإله وهو "الشهادة"، والذي يعتبر الشعب الإسرائيلي هو الشعب الوحيد في العالم الذي سيكون شاهدا للإله، وهو الوحيد الذي من خلاله ستتعرف الأمم

---

1 – هيرتزل، صموئيل – الدولة اليهودية – ص 2.

2 - *Huss, Boaz - THE NEW AGE OF KABBALAH Contemporary Kabbalah, the New Age and postmodern spirituality - Journal of Modern Jewish Studies - London W1T 3JH, UK – 2007 – p 116 - 117*

3 – المرجع السابق – ص 116 – 117.

على الإله، وهنا لم تعد مهمة الشعب متمثلة بعبادة الإله فحسب وإنما تصل إلى مهمة الشهادة للإله امام شعوب العالم.

يقول الكاتب في سفر أشعياء: **(إجتَمِعوا يا كُلَ الأُمَمِ، واَحتَشِدوا يا جميعَ الشُّعوبِ! مَنْ مِنْ آلِهَتِهِم يُخبِرُنا ويُسمِعُنا ما جرى مِنْ قَبلُ؟ أينَ شُهودُهُم يُبَرِّرونَ دَعواهُم، فنَسمَعَ ونقولَ: هذا حَقٌّ. 10أنتُم شُهودي يقولُ الرّبُّ، ذُرِّيَّةُ عبدي الذي اَختَرْتُهُ لأنَّكُم عَلِمتُم وآمَنتُم بي وفَهِمتُهم أنّي أنا هوَ. ما كانَ مِنْ قَبلي إلهٌ ولن يكونَ مِنْ بَعدي! 11فأنا أنا الرّبُّ، ولا مُخلِّصَ غَيري. 12أخبَرتُ وخلَّصتُ وأسمَعتُ، وما أنا فيكُم غريبٌ، أنتُم شُهودي يقولُ الرّبُّ. أنا اللهُ 13ومِنَ البَدءِ أنا هوَ. لا مُنقِذَ مِنْ يَدي، ولا مرَدَ لِما أعمَلُ).** [1]

وهنا يمكن الربط بين مفهوم الشهادة الذي أسس له سفر أشعياء والذي يمثل إحدى الوظائف والمهام الوجودية للشعب الإسرائيلي وبين وظيفة هذا الشعب بإصلاح الخلل الكوني الذي أصاب العالم، من خلال اعتبار هذا الإصلاح كنوع من أنواع الشهادة الشعب اليهودي للإله في العالم، وأن شعوب العالم لن تعرف من هو الإله ولن يتم رأب الصدع في العلاقة بينه وبين هذه الشعوب إلا من خلال شهادة الشعب اليهودي عليه بين الأمم، ولهذا يربط كاتب السفر بين مفهوم الشهادة وبين معرفة هذا الشعب للإله وفهمه له والإيمان به دون جميع شعوب الأرض، ولهذا فإن مهمتهم الإصلاحية تتطلب أداء وظيفتهم بأن يكونوا شهودا على الإله بين الأمم في هذا العالم.

وهذا المعنى عبر عنه النص الذي جاء بعده في الاصحاح الرابع والأربعين من سفر أشعياء حيث يقول: **(فاَسمَعْ يا يَعقوبُ عبدي، يا إسرائيلُ الذي اَختَرتُهُ: 2أنا الرّبُّ الذي صنَعَكَ، ومِنَ الرَّحِمِ كانَ نصيرَكَ لا تَخفْ يا يَعقوبُ عبدي، إسرائيلُ الذي اَختَرتُهُ: 3أُفيضُ المياهَ على العطشانِ والسُّيولَ على الأرضِ القاحِلَةِ، وأسكُبُ روحي على ذُرِّيَّتِكَ وبَرَكتي على نَسلِكَ. 4فيَنبُتونَ كاللُّبانِ الأَخضَرِ وكالصَّفصافِ على ضِفافِ الجداولِ 5هذا يقولُ: أنا أنتَمي للرّبِّ، ويُسَمِّي نفسَهُ بأسمِ يَعقوبَ، وذاكَ يكتُبُ على يَدِهِ: أنا**

1 - سفر أشعياء 43: 9 – 13

**للرّبِّ وبإسرائيلَ يجعَلُ كِنيَتَهُ». 6وقالَ الرّبُّ ملِكُ إسرائيلَ، فاديهِ ورَبُّهُ القديرُ «أنا الأوَّلُ وأنا الآخرُ، ولا إلهَ في الكَونِ غَيري. 7مَنْ مِثلي؟ فليُعلِنْ هذا، ولْيتَقَدَّمْ بهِ ويَعرِضْهُ لي. مَن أنبَأَ مِنْ قديمِ الزَّمانِ بما حدَثَ وبما سيَحدُثُ؟ 8لا ترتَعِبوا ولا تَرتاعوا، أمَا أعلَمتُكُم مِنْ قديمٍ وأخبَرتُكُم؟ أنتُم شُهودي، هل مِنْ إلهٍ غَيري؟ وهل مِنْ خالِقٍ ما عَلِمتُ بهِ؟).**[1]

**المطلب الثاني:**

**إقامة مملكة إله اليهود في الأرض**

إن إقامة مملكة دينية يهودية تسود فيها شريعة إله اليهود هو المقصد الوجودي الثاني الذي يعبر عن المكانة الوجودية للذات الجمعية اليهودية في هذا العالم وهذه الحياة، وقد نتج هذا المقصد عن اعتقاد اليهود بمكانتهم الوجودية في هذا العالم المتمثلة بمهمتهم في إصلاح الخلل الكوني الذي أصاب العالم، فلا تقتصر مكانتهم الوجودية في هذا العالم بهذه المهمة، وإنما تصل إلى مرحلة متقدمة عن مرحلة الإصلاح وهي إقامة مملكة إلهية يدير شؤونها النظام الكهنوتي اليهودي حسب الشريعة اليهودية التي الزم الإله شعبه المختار بها.

وبما أن الرؤية اليهودية للتاريخ وللعالم قائمة على عقيدة السيطرة الإلهية والسلطة الدينية[2] فإن الأمة اليهودية حسب هذه الرؤية هي الأمة التي أوجدها الإله لتحقيق هذه الغاية، حيث تشكل هذه الرؤية قمة المركزية الدينية في الرؤية اليهودية للعالم، والانتقال من مستوى الخصوصية المغلقة في العلاقة مع الإله إلى وجوب تعميم هذه العلاقة على مستوى العالم ، ولكن ليس من خلال بناء علاقة بين إله اليهود والأمم والولاء الديني له وإنما من خلال تحقيق الولاء الخالص من قبل اليهود لإلههم، وتكوين مملكة محكومة بشريعته التوراتية ثم ولاء الأمم لهذه المملكة.

يوضح باروخ سبينوزا هذا المقصد الوجودي في الرؤية اليهودية للعالم في كتابه " رسالة في اللاهوت والسياسة " أثناء حديثه عن فلسفة الحكم والملكية في دولة اليهود

---

1 - سفر أشعياء 44: 1 – 8

2 - انظر: جري، ألبان ويد – التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي – ج 1 – ص 149.

وفي تصورهم لهذه المملكة من خلال تاريخهم وتطور علاقتهم بإلههم، ويبين كيف تم بناء هذه العقيدة في إيمانهم الديني فيقول:

" ... إن العبرانيين بعد خروجهم من مصر لم يكونوا ملتزمين بأي تشريع لأمة أخرى وكان من حقهم أن يضعوا قواعد جديدة ويحتلوا ما يشاؤون من الأراضي ذلك لأنهم بعد تحررهم من اضطهاد المصريين الذي لا يُطاق لم يعودوا مرتبطين بأي عقد مع أية سلطة بشرية، واستعادوا حقهم الطبيعي على كل ما كان في نطاق قدرتهم وكان في استطاعة كل فرد منهم أن يتساءل من جديد عما إذا كان يود الاحتفاظ بهذا الحق أو التخلي عنه وتفويضه إلى شخص آخر، واتباعا لنصائح موسى الذي كان لديهم قدر من الثقة فيه قرروا الخروج من هذه الحالة الطبيعية التي وجدوا أنفسهم فيها وتفويض كل حقهم إلى إلههم وحده لا إلى أية سلطة بشرية، وهكذا فإنهم دون تردد وبصوت واحد وعدوا إلههم بأن ينفذوا أوامره وبأن لا يعترفوا منذ ذلك الحين بأي قانون إلا ما يقرره الإله نفسه بوحي نبوي". [1]

ثم يقول: "إن اعتقاد العبرانيين بأنهم يحتاجون دائما في بقائهم إلى عناية القدرة الإلهية هو الذي جعلهم يفوضون للإله كل قدرتهم الطبيعية على البقاء التي ربما كانوا يعتقدون قبل هذا التفويض أنهم هم الذي يملكونها، وبالتالي فوضوا له جميع حقوقهم ومنذ ذلك الحين أصبحت سلطة الحاكم عند العبرانيين للإله وحده وأصبحت الدولة التي قامت على هذا النحو وحدها التي تستحق بفضل العهد بين العبرانيين وبين إلههم أن تسمى مملكة الله أو مملكة الإله كما أصبح الإله يسمى بحق ملك العبرانيين، وبالتالي كان أعداء هذه الدولة أعداء الإله ". [2]

ويعتقد سبينوزا أن نظام الحياة الدينية اليهودية في التصور التوراتي وفي الواقع التاريخي لليهود جاء منسجما بشكل كامل وشامل مع هذا المقصد الوجودي، حيث يرى أن الأوامر الإلهية للشعب الإسرائيلي جاءت لتطبيق هذه الرؤية في إقامة مملكة الإله

1 – سبينوزا، باروخ – رسالة في اللاهوت والسياسة – ترجمة د. حسن حنفي – ط 1 2005 – دار **التنوير**، بيروت – ص 388.

2 – المرجع السابق – ص 388.

اليهودي على الأرض، حيث تبدأ بأمر الإله لشعبه ببناء مسكن كان بمثابة بلاط للإله وتجسيدا للسلطة العليا لهذه الدولة، وقد تكفل ببناء هذا المسكن جميع أفراد الشعب حتى يتم فيه التماس المشورة مع الإله ، وتم اختيار اللاويين لخدمة هذا البلاط وهم من أبناء هارون أخ موسى عليهما السلام واعتبر أقرب العبرانيين الى الإله وهو المفسر العظم للقوانين الإلهية.[1]

ثم جاء الأمر الإلهي بتكوين جيش من أبناء وقبائل العبرانيين بالتساوي وسمي هذا الجيش "جيش الإله " وكتائبه "كتائب الإله" وسمي الإله نفسه عند العبرانيين "إله الجيوش أو رب الجنود " وبقيت سلطة نقل الخطاب الإلهي خاصة بموسى وبمن يأتي بعده ويعينه موسى خليفة له بناء على الاختيار الإلهي.

ثم جاء الأمر الإلهي بتعيين نقباء عن أسباط بني إسرائيل، نقيب عن كل سبط من الأسباط تولى مهمة تنظيم شؤون نصيبه ويقوم بمهمة استشارة الإله في شؤون سبطه، ولم يكن كل نقيب ملزما بالاعتراف بأي حكم سوى حكم الإله أو على الأقل نبي بعثه الإله بالفعل، وقام موسى عليه السلام بتعيين سبعين معاونا له من شيوخ بني إسرائيل كانوا يكوّنون معه المجلس الأعلى، وكان لفظ الشيوخ يستعمل بالإشارة إلى القضاة فلم يكن تصريف الأمور العامة في دولة العبرانيين يعتمد على مشيئة إنسان واحد أو مجلس واحد أو حتى على الشعب نفسه.

ولم يكن نظام الحكم في مملكة العبرانيين ملكيا ولا شعبيا بل كان حكما للسلطة اللاهوتية الدينية، وذلك لعدة أسباب : كان المعبد هو المقر الملكي للدولة ، كان على جميع المواطنين أن يقسموا يمين الولاء للإله حاكمهم الأعظم وهو وحده الذي له الطاعة المطلقة ، كان الإله وحده هو الذي يختار عند الحاجة قائدا أعلى للشعب، وكان جميع أفراد الشعب ملزمون بتطبيق الشريعة الإلهية، وكان على أفراد الشعب جميعا أن يجتمعوا مرة كل سبع سنوات في مكان محدد لكي يتلقوا من الحَبر معلومات عن الشريعة، كما كان كل فرد ملزما بقراءة سفر الشريعة ويعيد قراءته، وكان على رؤساء الشعب أن يعملوا

1 – المرجع السابق – ص 389.

على تصريف الشؤون العامة طبقا للقوانين التي سُنت من قبل، والتي كان الجميع يعرفونها بقدر لا بأس به، وكان الرؤساء موضع احترام من قبل الشعب باعتبارهم رسل مملكة السماوات وخلفاء الإله، وكان نقباء الأسباط لا يرتبطون بينهم إلا برباط الدين المشترك فإذا بدأ أحدهم في التخلي عنه والنيل من حق الفرد الإلهي كان من حق الآخرين القضاء عليه وكأنه عدو.[1]

ولأجل هذا كانت هناك حالة من الصدام بين النقباء ورؤساء الشعب وبين الأنبياء الجدد الذين يظهرون في الشعب، فإن جاء النبي بما يتوافق مع الشريعة الموروثة والعادات والتقاليد للشعب العبراني المتعارف عليها ويقدم الأدلة على صدق نبوته كان يأخذ جانبا من الاحترام والتصديق، أما إذا جاء معارضا للشريعة أو ناقضا لشيء فيها أو مصححا لأي تقليد ديني أو اجتماعي موروث كانت سلطة النقباء والرؤساء أعلى من سلطته بكثير فكان يخضع للمحاكمة وقد يُقتل أو يحكم عليه بالموت.[2]

والنتيجة الهامة والنهائية من خلال كل ما سبق أن العبرانيين كانوا يفضلون الموت على الخضوع لأية سلطة أو سيطرة اجنبية عليهم، فقد فوضوا حقهم إلى الإله **واعتقدوا أن مملكتهم مملكة الإله، وأنهم وحدهم هم أبناء الإله وأن جميع الشعوب الأخرى هي أعداء الإله** ولهذا السبب كانوا يكنّون لهذه الشعوب الأخرى كراهية شديدة، وهي كراهية تدل على التقوى – حسب رؤيتهم–، وكانوا يشعرون بفزع إزاء فكرة التعهد بالولاء للأجنبي أو وعده بالطاعة ولم يكن هناك أشنع أو أبغض في نظرهم من خيانة وطنهم أي مملكة الإله الذي يعبدونه، وكانت مجرد الإقامة في أرض أجنبية تبدو لهم عارا، لأنه لم يكن يسمح لهم بإقامة شعائرهم الدينية في أي مكان آخر أو أرض أخرى، ولهذا السبب كانوا يرون أرض وطنهم مقدسة وكل أرض أخرى دنسة ولا قدسية فيها.[3]

وقد برهنت جميع الظروف التاريخية التي مرت على اليهود أنهم لم يتقبلوا غير حكم الكهنة، فلما نشب نزاع بين الجماهير اليهودية في أواخر عهد الكابيين، كانت

---

1 – انظر – المرجع السابق – ص 389 – 399

2 – انظر : المرجع السابق – ص 400

3 – انظر : المرجع السابق – ص 401.

الجموع تطالب بتشكيل حكومة دينية بدون ملوك، وتم رفض الكهنة الذين سموا أنفسهم ملوكا وحموا اليهود على أساس سلطة زمنية، وكان اليهود الجليليين ينادون بأنه ليس لليهود ملك إلا الإله، وعاش اليهود أثناء حكم الرومان فترة طويلة من الناحية الدنيوية لكنهم أصروا على استمرار حكم الكهنة من الناحية الدينية، لهذا استمر وجود الديانة اليهودية عشرات القرون إلى يومنا هذا بسبب عدم تكوين اليهود دولة مدنية دنيوية فاستمرت اليهودية كدين ، في الوقت الذي كان لا يمكن أن تستمر فيه كدولة مدنية ودنيوية في مواجهة الدول الأخرى.[1]. [2]

إن هذا المقصد الوجودي في الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات الجمعية اليهودية يفسر بكل وضوح حقيقة النظرة الدينية لكل مملكة أسسها الإسرائيليون في التاريخ وخصوصا المملكة الموحدة التي قادها نبي الله داوود عليه السلام ومن بعده ابنه نبي الله سليمان عليهما السلام، فلم تكن نظرتهم لها على أساس أنها دولة دنيوية زمنية، وإنما كانت في رؤيتهم لها على أساس أنها دولة دينية قامت على جميع الأركان الدينية التي أسسها موسى عليه السلام في التوراة ومن أهمها بناء الهيكل – المعبد اليهودي المقدس– وإقامة نظام المملكة على شريعة التوراة وتحقيق وعود ونبوءات التوراة.

وإن نظرتهم الدينية لدولتهم المعاصرة على أرض فلسطين، لا تمثل مجرد وطنا قوميا لليهود بقدر كونها وطنا يمهد لتأسيس مملكة إله اليهود على الأرض كلها ، وإن شرط استمرارها وبقائها هو تحولها من دولة مدنية دنيوية إلى دولة دينية،[3] وإن كل أمة

---

1 – سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل، الأردن – ط 2003 – ص 100.

2 – "... وخير مثال لذلك هو فشل الكنيسة المسيحية في محاولتها ان تجعل من كيانها سلطة زمنية وذلك بش حروبها الصليبية على الشرق فرجعت الى نطاق عملها الديني البحت وزالت الدولة الصليبية وبقيت المسيحية وكذلك ستلقى دولة إسرائيل بوضعها الشاذ الحالي نفس المصير عاجلا او آجلا. – سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – ص 100.

3 – بدأت تظهر بوادر هذا الاتجاه بكل وضوح في تحول سياسة الدولة من المدنية إلى الدينية من خلال محاولات تغيير اسمها إلى دولة اليهود، وفرض دراسة التوراة في المدارس الإسرائيلية ومحاولات إدماج بعض رموز السلطة الدينية في الحكومة الإسرائيلية وغيرها من المظاهر الكثيرة.

من أمم الأرض لا تخضع لهذه الدولة أو لا تعترف بضرورة بقائها تُعد أمة معادية للإله ومعادية لمملكة الإله في أرضه.

وإن الأرض التي يجب أن تقام عليها هذه المملكة هي الأرض الموعودة المقدسة المنصوص عليها في وعود التوراة ، والموهوبة من إله التوراة لأمة التوراة، وإن الأرض تعتبر ارضا مدنسة بأي شرع او دين يطبق عليها غير الدين اليهودي وغير شريعة التوراة، وإن طهارة الأرض من هذا الدنس لن تتحقق إلا من خلال دخول شرع التوراة فيها، الذي هو شريعة إله اليهود ، ولهذا يتوجب – حسب هذه الرؤية – على اليهود توسيع مملكتهم حتى تتصل حدود مركزها من نهر الفرات إلى نهر النيل، ثم لن يعم السلام والأمان والاطمئنان على أهل الأرض جميعا إلا بإقامة هذه المملكة الإلهية ثم تبعيتها أو الإذعان لها ولحكمها على مستوى الأرض كلها.

تلك المهمة التي أكد عليها مارتن بوبر بقوله " إن شعب إسرائيل يتطلع لأن يكون المبشر والرائد ومخلص العالم بأن تكون أرض إسرائيل مركز العالم وعرش ملكه، وهي نظرة تجد جذورها في الرؤية التوراتية التي تؤكد الأهمية الفريدة للارتباط بين اليهود وأرضهم.[1]

وقد أثر هذا المقصد الوجودي في الرؤية اليهودية للدين اليهودي نفسه، وكيفية التعريف به بناء على استحضار هذا المقصد بشكل أساسي في تعريف الدين اليهودي ومهمة اليهود من خلاله في العالم، فيعرف هربرت لوي[2] الديانة اليهودية بأنها : (أشد الديانات استمساكاً بعقيدة التوحيد ، وهي أكثر من مجرد عقيدة جرداء فهي الأثر الذي تطبعه هذه العقيدة بكل تبعاتها المنطقية على الحياة ... وهي الدين الذي دعا إليه أولاً إبراهيم خليل الله وتمثل في عهد الختان....، واليهودية تقوم على أساسين، هما: وحدانية

1 – سعد الدين، نادية – الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي – مركز الجزيرة للدراسات – الدار العربية للعلوم ناشرون – ط 1 – 2012 م – ص 137

2 – أستاذ اللغة العبرية في كلية اكستر بأكسفورد، من اليهود الإنجليز المحافظين.

الإله واختيار إسرائيل ... ووظيفة اليهودية أن تنشر السلام والمودة في العالم وهي الوصية على المثل العليا).[1]

وعرفها كوفمان كوهلر[2] في كتابه اللاهوت اليهودي بأنها : (رسالة من الله الواحد القدوس للإنسانية الموحدة وتهدف تلك الرسالة لتوحيد العالم في هدف مسيحاني، وهي رسالة تم توصيلها بالوحي الإلهي إلى الشعب اليهودي، وإن إسرائيل هي حارسة تلك الرسالة والشاهدة عليها عبر الأجيال، فاليهودية هي حقيقة دينية، وكذلك مهمة موكلة إلى شعب تم اختياره خصيصا لتلك المهمة).[3]

وقد أسهمت مجموعة من الأصول العقدية التأسيسية التي قام عليها البناء العقدي اليهودي في بداية نشأته في تكوين هذا المقصد الوجودي الذي يركز على صورة محورية من صور المكانة الوجودية للذات اليهودية في العالم، من أهمها الرؤية التوراتية للذات الجمعية اليهودية باعتبارها تشكل شعبا مباركا في أصل وجوده في الحياة البشرية، مختلفا عن الأمم الملعونة في أصل وجودها، والتي لا تنال قدرا من البركة وتتخلص من لعنتها الا باتباع الشعب اليهودي.

ولهذا يعتبر هذا الشعب مختارا من قبل الإله، اختيارا إلهيا خاصا ومغلقا، ويكمن المعنى في هذا الاختيار من ناحيتين تتعلق الأولى بمكانة هذا الشعب في أصل وجوده بكونه شعبا مباركا، وتتعلق الثانية بالهدف والمقصد الذي لأجل تحقيقه وقع الاخيار الإلهي على هذا الشعب وهو إقامة مملكة إله اليهود في هذه الأرض.

ولأجل تحقيق هذا الهدف وهذا المقصد لم يقر الإله عهدا دينينا أو التزاما شرعيا أو فرضا سماويا بينه وبين أية أمة من أمم الأرض، وإنما أقره مع شعب إسرائيل وحدهم، وقد تضمن هذا العهد من ناحية بني إسرائيل وجوب الالتزام بشريعة التوراة وإقامة الفرائض وإقامة الهيكل والاستقرار في الأرض الموعودة والاعتراف المطلق والتطبيق المطلق

---

1 – سعيد، حبيب – أديان العالم الكبرى – دار الشرق والغرب، القاهرة – ط 2، ب.ت – ص 72-73.

2 – رئيس اتحاد الربانيين في الولايات المتحدة

3 – حلبية، عاطف عثمان – مدخل الى العقيدة اليهودية – ب. د – ج 8 – ص 1

لأوامر الإله وشريعته دون أي أمر أو شريعة إلهية أو بشرية أخرى، ويتضن العهد من ناحية الإله بتكثير نسلهم، وإعلان نفسه إلها لهم وحدهم ، وتمليكهم الأرض الموعودة وتمكينهم من سيادة جميع أمم الأرض.

ولأجل تطبيق هذا العهد وإقامة مملكة الإله على الأرض الموعودة، فقد أرسل لهم عددا من الأنبياء لتجديد دعوتهم بضرورة إقامة هذه المملكة وتذكيرهم الدائم بهذه المهمة المقدسة، ومعالجة جميع الإشكاليات الدينية والدنيوية التي تشكل عقبة أمام إقامة هذه المملكة.

ولهذا ساد الاعتقاد لدى اليهود بأنهم الشعب الوحيد الذي خصه الإله بإرسال الأنبياء، وأنهم وحدهم الأمة النبوية، وأن ظاهرة النبوة لم يتحقق وجودها في أية أمة غير الأمة اليهودية، ولهذا هم الشعب الوحيد المؤهل من قبل الإله وأنبيائه المرسلين لإقامة مملكته على الأرض، فكما أنهم يمثلون موطن نزول الوحي الإلهي في الأرض ماديا ومعنويا، وتلقي الرسالات الالهية عن طريق الأنبياء، فإن مملكتهم تمثل حلقة الوصل بين البشرية وبين إله الأنبياء.

وكما أن المصادر الدينية اليهودية قد أسهمت بشكل مباشر في التأسيس لهذه الأصول والرؤى العقدية التي كونت هذا المقصد الوجودي، فإن هذا المقصد ورؤاه التأسيسية قد انعكست على الرؤية الدينية اليهودية لهذه المصادر، فالتوراة لم تعد مجرد كتاب ديني يلتزم اليهود باتباعه واتباع شرائعه، وإنما توحدت الرؤية الدينية اليهودية لها مع الرؤية الدينية اليهودية للذات اليهودية الجمعية نفسها ومكانتها في هذا لوجود.

فأصبح وجود التوراة في الرؤية اليهودية للعالم يعتبر أقدم من وجود العالم نفسه وأقدم من حادثة خلقه وتكوينه، وبالتوراة ولأجلها خلق الإله الدنيا، وهي عروس الرب التي تجلس إلى جواره على العرش، والتي ستزف إلى المسيح اليهودي المنتظر حينما يأتي إلى هذا العالم في آخر الأيام، وأصبح يُشار بكلمة توراه إلى التراث الديني اليهودي كاملا، وكل ما أوصى الإله به لجماعة إسرائيل أو للعالم كله من خلال جماعة إسرائيل،

وأصبح يُشار بكلمة توراة إلى الجوانب الإلهية الثابتة في العقيدة اليهودية، ويُشار بكلمة يهودية إلى الجوانب المتغيرة التاريخية في الديانة اليهودية ورؤاها المتعددة.[1]

وأصبح المعنى والهدف في ممارسة دراسة التوراة وتعلمها ليس الخروج من الذات وتحديها بقدر ما هي ضرب من عبادة الذات وتوثينها، إذا إن التوراة لم تعد تعني نتاج عبقرية الشعب اليهودي فحسب، بل هي تعتبر جماعة إسرائيل نفسها وذاتها، وكل منهما يكوّنان شيئا واحدا، وإذا كانت الحكمة مِلك للشعوب من غير اليهود فإن التوراة هي الكتاب الإلهي المقدس الوحيد الموهوب لليهود، والتي تضم كل الحكم الإلهية في كل شيء متعلق بالوجود وتفسيره، وهي مصدر حياتهم والشاهد على عبقريتهم الدينية واتخاذهم شعبا مختارا دون سائر أهل الأرض.[2]

ويعتبر اليهود أن الإله بإنزاله للتوراة إليهم فقد غرس الحياة الأبدية فيهم حيث تمثل في هذه الرؤية تجسيدا لروح الإله، وإذا كانت صهيون تمثل الوطن الأصلي الذي تشتت اليهود منه إلى بلدان متفرقة فإن التوراة هي الوطن المتنقل الذي يمكنهم التمركز حوله والحفاظ على هويتهم الدينية والوجودية من خلاله وضرب أسوار العزلة عليه وعلى أنفسهم،[3] إلى حين تكوين مملكة إلهية يسود فيها شعب التوراة بشريعة التوراة على أرض التوراة.

ولهذا يعتقد اليهود بعدم جواز أو إمكانية نسخ شريعة التوراة والشريعة اليهودية بشرع آخر جديد يأتي بعدها، وإن عدم إمكانية زوال الامة اليهودية بناء على الوعد الإلهي لهم ببقائهم وعدم إمكانية فنائهم بأي حال من الأحوال، دليل على عدم زوال شريعة التوراة.

يقول سعيد بن يوسف المعروف "بسعديا جاؤون الفيومي" في كتابه "الأمانات والاعتقادات" : " ... نقل بنو إسرائيل نقلا جامعا أن شرائع التوراة قالت لهم الأنبياء عنها أنها لا تنسخ، وقالوا أن سمعنا ذلك بقول فصيح يرتفع عنه كل وهم وتأويل ثم تبينت

1 - المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج 5 – ص 87 – 88.

2 - المرجع السابق – ج 5 – ص 88

3 - المرجع السابق – ج 5 – ص 88

الكتب فوجدت ما يدل على ذلك، ... ولأن أمتنا بني إسرائيل إنما هي أمة بشرائعها فإن قال الخالق أن الأمة تقيم ما قامت السماء والأرض فبالضرورة شرائعها مقيمة ما قامت السماء والأرض" [1]

وكان هذا المقصد الوجودي ومقتضياته سببا من أسباب وجود التلمود، الذي جمع فيه اليهود تراثهم الديني الفقهي وشروحاته وتعليقاته وتطوراته، وشكل مصدرا أساسيا من مصادر الديانة اليهودية ولا يقل أهمية عن التوراة ولا في رؤيتهم الدينية لها، وإن هذا المقصد الوجودي يفسر ظاهرة إغراق اليهود بكتابة التفصيلات الفقهية الدقيقة التي قد تصل إلى تناول أبسط وأدق الأمور في حياة الإنسان اليهودي، حيث تم النظر للتلمود على اعتباره نظاما معياريا للحياة اليهودية، واعتبروا أن الحياة الدينية اليهودية يجب أن تشملها أدق تفاصيل التشريع اليهودي بصورة شاملة.

إلا أن هذه التشريعات – حسب الرؤية اليهودية – لا تكتسب قيمتها الحقيقية "المكتملة" من خلال تطبيقها من قبل اليهود وهم في حالة الشتات، وإنما تكتسب هذه القيمة عندما يتم تطبيقها من قبل الشعب اليهودي في مملكة خاصة يحكمها أحد أبناء هذا الشعب، وتكون مملكة مركزية على مستوى الحياة البشرية، وتملك قوة إذعان الشعوب لها، بحيث تمثل السيطرة الإلهية على العالم وأممه وتصبح رمزا لها.

ولهذا تم ربط الأسباب التي أدت إلى جميع النكبات التاريخية التي تعرض لها اليهود في حياتهم الدينية والدنيوية من خلال الرؤية اليهودية لوجودهم، بعدم قدرتهم وعدم تمكنهم من إقامة مملكة إلههم على الأرض، وسيطرة الإرادة الإلهية على جميع شعوب العالم من خلال هذه المملكة، واهتمامهم بقضايا دنيوية صرفتهم عن هذا المقصد الوجودي المهم، الذي لأجله أوجدهم الإله في هذا العالم، وشمل هذا التوجه التفسيري عامة اليهود، وعددا كبيرا من الأنبياء الذين أضاف اليهود أسفارا تتحدث عن نبوتهم ونبوءاتهم في كتاب التناخ اليهودي.

---

1 – الفيومي، سعديا جاؤون – الأمانات والاعتقادات – نسخة مكتبة المصطفى الالكترونية وهي بدون اسم المترجم أو تاريخ الطبعة ودار النشر – ص 128

يقول مايكل انجلو: " إن الشعب المختار يكتسب الوسيلة التي اختارها الرب لخطته التي تجعل التاريخ الإنساني مقدسا، ... لقد مثلت فكرة الشعب المختار بالنسبة لليهود عبئا وتكليفا بواجبات واختبارا وجب عليهم باستمرار أن يثبتوا أنهم أهل له، وأن هذا العبء قد استنفر عقدة الدفاع عن الذات وولد كابوس خيانة العهد الإلهي ومن ثم فقد الخصوصية، الذي يمكن أن يؤدي إلى موتهم كشعب – وتحطيم مكانتهم الوجودية في هذا العالم، ولهذا حاول الأنبياء في الفترات الحالكة من التاريخ اليهودي أن ينقذوا فكرة العلاقة المتميزة مع الرب من منظور التذلل ونقد الذات وفسروا المحن والشدائد على أنها تحذير من الرب لأبنائه المختارين، لأنهم لم يكونوا على مستوى ما كان ينتظر منهم".[1]

وقد أشارت عشرات النصوص في التناخ اليهودي إلى هذا المقصد الوجودي، أذكر منها ما ورد في سفر المزامير: **(قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزّاً.**
**2قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ. 3صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ.**
**إِلَهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ. 4صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلاَلِ.**
**5صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ 6وَيُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْلٍ. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ**
**مِثْلَ فَرِيرِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ. 7صَوْتُ الرَّبِّ يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ. 8صَوْتُ الرَّبِّ يُزَلْزِلُ الْبَرِّيَّةَ.**
**يُزَلْزِلُ الرَّبُّ بَرِيَّةَ قَادِشَ. 9صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الإِيَّلَ وَيَكْشِفُ الْوُعُورَ وَفِي هَيْكَلِهِ الْكُلُّ**
**قَائِلٌ: «مَجْدٌ». 10الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكاً إِلَى الأَبَدِ. 11الرَّبُّ يُعْطِي**
**عِزّاً لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ).**[2]

---

1 – ياكوبوتشي، مايكل انجلو – أعداء الحوار – أسباب اللاتسامح ومظاهره – ترجمة د. عبد الفتاح حسن – الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة – ط 1، 2010 م – ص 133.

2 – سفر المزامير 29: 1 – 11

**المطلب الثالث:**

**حكم العالم والسيادة على أمم الأرض**

يُعد هذا المقصد الوجودي المتمثل بحكم اليهود للعالم والسيادة على أمم الأرض، والذي يشير أعلى مستوى من مستويات المكانة الوجودية للذات اليهودية الجمعية في العالم، نتيجة لازمة عن المقصد الأول المتمثل بضرورة وجود الشعب اليهودي لإصلاح الخلل الكوني الذي أصاب العالم، والمقصد الوجودي الثاني المتمثل بضرورة تكوين مملكة الإله في الأرض من خلال شعبه المختار وشريعته الإلهية.

وقد تم ترسيخ هذا المقصد الوجودي في النصوص التوراتية، وترسيخه من خلالها في الفكر الديني اليهودي، والرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات الجمعية اليهودية في العالم، ابتداء من السفر الأول من أسفار التوراة وهو سفر التكوين، والذي عمل كتبة التوراة فيه على تحديد المكانة الوجودية لإبراهيم عليه السلام بين الأمم، لاعتقادهم السائد بأن إبراهيم عليه السلام هو أحد أهم الآباء الكبار الأوائل المؤسسين للشعب الإسرائيلي عرقيا، والذي من خلاله تم التأسيس لعقيدة الاختيار الإلهي وعقيدة العهد والوعد الإلهي الخاصة ببني إسرائيل.

فيبدأ كتبة سفر التكوين بالإفصاح عن المقصد من الأمر الإلهي لإبراهيم عليه السلام بالهجرة من أرضه ووطنه في أور الكلدانيين إلى أرض كنعان بقولهم: **(وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. 2فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ وَتَكُونَ بَرَكَةً. 3وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ)**.[1]

فهذا النص يبين أن المكانة الوجودية لإبراهيم عليه السلام بين الأمم تتمثل بمصدرية البركة الإلهية فيها، فهو مصدر البركة لكل من يباركه ويؤمن به وبمكانته الوجودية وعلاقته بالإله، ويُحرم من هذه البركة كل من لا يؤمن به ولا يؤمن بمكانته الوجودية.

1 – سفر التكوين – 12: 1 – 3

ثم يتم تأكيد المكانة الوجودية لإبراهيم عليه السلام من خلال البركة الإلهية في سفر التكوين بعد حديث الكتبة عن طاعة إبراهيم عليه السلام للأمر الإلهي بتقديم ابنه إسحاق قرباناً للرب، فيقول الكتبة: : **( 15وَنَادَى مَلاَكُ الرَّبِّ إِبْرَاهِيمَ ثَانِيَةً مِنَ السَّمَاءِ 16وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا الأَمْرَ وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ 17أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيراً كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ 18وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي).** [1]

فهذا النص لا يقف عند حدود المكانة الوجودية لإبراهيم عليه السلام بمصدرية البركة بين الأمم، وإنما يصل إلى مرحلة متقدمة من الموقف الوجودي لإبراهيم عليه السلام ونسله وذلك بالتنبؤ بأنهم سيرثون مدن أعدائهم وينتصرون عليهم، ويؤكد النص مرة أخرى بأن إبراهيم عليه السلام ونسله سيكونون مصدرا للبركة في حياة كل أمم الأرض وشعوبها.

ومن اللافت للنظر في هذا النص أن سياق هذه البركة ونتائجها جاء في حادثة متعلقة بإسحاق بن إبراهيم عليه السلام، لذلك سيستمر الكتبة بتأكيد هذه البركة ونتائجها مع إسحاق عليه السلام وبنيه بصفة خاصة يتم فيها استثناء جميع أبناء إبراهيم عليه السلام الآخرين.

فيذكر كتبة سفر التكوين أثناء حديثهم عن الأمر الإلهي لإسحاق عليه السلام بعدم الهجرة إلى مصر نتيجة القحط الذي أصاب أرض كنعان والسكن في أرض جرار التي كانت تقع في جنوب أرض كنعان: **(2وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ وَقَالَ: «لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. 3تَغَرَّبْ فِي هَذِهِ الأَرْضِ فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. 4وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هَذِهِ الْبِلاَدِ وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ**

1 - سفر التكوين – 22: 15 – 18

**5مِنْ أَجْلِ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَمِعَ لِقَوْلِي وَحَفِظَ مَا يُحْفَظُ لِي: أَوَامِرِي وَفَرَائِضِي وَشَرَائِعِي». 6فَأَقَامَ إِسْحَاقُ فِي جَرَارَ).** [1]

وعندما تنتقل البركة الإلهية من إسحاق عليه السلام إلى ابنه يعقوب عليه السلام بصفة خاصة، ينتقل معها معنا جديدا ونتيجة جديدة في تعلقها بيعقوب عليه السلام، وهو تنبؤ إسحاق عليه السلام بأن الأمم والشعوب ستخدم يعقوب عليه السلام وأن الأمم ستسجد له وسيكون سيدا على إخوته، وسيكون بركة لمن يباركه ويتبعه ويُلعن من ينكره ولا يعترف به وبمكانته في هذا الوجود، فيقول الكتبة: **(وقالَ لَه إسحَقُ: «تقَدَّمْ وقبِّلْني يا اَبني». 27فتَقَدَّمَ وقبَّلَه، فشمَ رائحةَ ثيابِه وباركَه وقالَ: «ها رائحةُ اَبني كرائِحةِ حقلٍ بارَكَه الرّبُّ 28يُعطيكَ اللهُ مِنْ نَدى السَّماءِ ومِنْ خصوبَةِ الأرْضِ فَيضًا مِنَ الحِنطةِ والخمرِ <u>29وتخدُمُكَ الشُّعوبُ وتسجدُ لكَ الأُمَمُ! سيِّدًا تكونُ لإخوَتِكَ، وبَنو أُمِّكَ يَسجدونَ لكَ. مَلعونٌ مَنْ يلعَنُكَ، ومُبارَكٌ مَنْ يُبارِكُكَ</u>).** [2]

فهذا النص يتنبأ بأن المكانة الوجودية ليعقوب عليه السلام بين الأمم تتمثل بسيادته عليهم وتبعيتهم له ولنسله من بعده بصورة حتمية ولازمة، فيذكر الكتبة في سياق حديثهم عن مخاطبة الرب ليعقوب عليه السلام وهو في أرض كنعان قبل مغادرتها، نتيجة للخلاف الذي وقع بينه وبين أخيه عيسو بسبب ميراث بركة أبيهم إسحاق عليه السلام، قولهم: **(أنا الرّبُّ إلهُ إبراهيمَ أبيكَ وإلهُ إسحَقَ الأرضُ التي أنتَ نائِمٌ علَيها أهبُها لكَ ولِنسلِكَ. 14ويكثُرُ نسلُكَ كَتُرابِ الأرضِ، وينتَشِرُ غربًا وشرقًا وشَمالاً وجنوبًا، <u>ويتبارَكُ بِكَ وبنسلِكَ جميعُ قبائلِ الأرضِ،</u> 15وها أنا معَكَ، أحفظُكَ أينما اَتجهتَ. وسأردُّكَ إلى هذِهِ الأرضِ، فلا أتخلَّى عَنكَ حتى أفيَ لكَ بكلِّ ما وعَدْتُكَ).** [3]

ثم يأتي الخطاب الإلهي ليعقوب عليه السلام بنبوءة جديدة، تنص على أن نسله سيخرج منه الملوك، فيقول الكتبة: **(وَقَالَ لَهُ اللهُ: «اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ». فَدَعَا اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ. 11وَقَالَ لَهُ اللهُ: «أَنَا اللهُ**

---

1 – سفر التكوين – 26 : 2 – 6.

2 – سفر التكوين 27: 26 – 29

3 – سفر التكوين 28: 13

**الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ. وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ. 12اوَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ لَكَ أُعْطِيهَا. وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ).**[1]

ثم يخصص كتبة سفر التكوين نبوءة يعقوب عليه السلام بخروج الملوك من نسله بابنه يهوذا ونسله من بعده دون سائر إخوته، وأن الملك سيبقى في نسله إلى أن يأتي المسيح المنتظر في أرض كنعان في آخر الأيام، والذي سيكون من نسل يهوذا تحديدا والذي لن يطيعه بنو إسرائيل فحسب وإنما ستطيعه جميع أمم وشعوب الأرض وتذعن لملكه ومملكته، فيقول الكتبة: **(يَهوذا يَحمَدُك إخوَتُكَ، يَدُكَ على رِقابِ أعدائِكَ. يسجدُ لكَ بَنو أبيكَ. 9يَهوذا شِبْلُ أسَدٍ. مِنَ الأطرافِ صَعِدْتَ يا اَبني، كأسدٍ يَركعُ ويَربِضُ وكَلَبوةٍ، فمَنْ يُقيمُه؟ 10لا يزولُ الصَّولجانُ مِنْ يَهوذا ولا عصا السُّلطانِ مِنْ صُلْبِه، إلى أنْ يتَبوَّأَ في شيلُوه مَنْ لَه طاعةُ الشُّعوبِ).** [2]

فهذه النصوص ومن خلال تدرجها بتأكيد ميراث البركة الإلهية لإبراهيم عليه السلام ومن بعده لابنه إسحاق عليه السلام ومن بعد لابنه يعقوب عليه السلام ثم تخصيصها بابنه يهوذا، والتي انتقل معنى البركة الإلهية فيها من تأكيد المكانة الوجودية لإبراهيم عليه السلام بمصدرية البركة بين الأمم إلى ملك سبطه يهوذا وسيادته على جميع الأمم.

وإن من أعمق النصوص التوراتية دلالة على هذا المقصد الوجودي، النص الذي يحكي حادثة صراع يعقوب عليه السلام مع إنسان مرسل من قبل الإله، يتغلب عليه يعقوب عليه السلام، وبسبب هذه الغلبة يتحول اسمه من يعقوب إلى إسرائيل، ويعلل له سبب تغيير اسمه بأنه جاهد مع الله والناس وقدر أو غلب وانتصر، ويوحي النص بأن معنى اسمه عليه السلام "إسرائيل" أي "غلبة الله"، وكأن الله بوجود يعقوب يتغلب على جميع الأمم والشعوب في الأرض ويخضعها لسيادته أو سيادة من يأتي من نسله.

---

1 - سفر التكوين 35: 10 – 12

2 - سفر التكوين – 49: 8

فيقول الكتبة: **(قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ امْرَأَتَيْهِ وَجَارِيَتَيْهِ وَأَوْلاَدَهُ الأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاضَةَ يَبُّوقَ، 23أَخَذَهُمْ وَأَجَازَهُمُ الْوَادِيَ وَأَجَازَ مَا كَانَ لَهُ. 24فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25لَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». 27فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». 29وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. 30دَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «فَنِيئِيلَ» قَائِلاً: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي». 31وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ فَنُوئِيلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ 32ذَلِكَ لاَ يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخْذِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ لأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا).** [1]

يذهب جيمس فريزر مؤلف كتاب "الفلكلور في العهد القديم" إلى أن هذه الحادثة تُعد قصة أسطورية من إضافات كتبة التوراة المتأثرة بالأساطير الدينية لدى الشعوب التي عاشوا بينها، وأنها قصة وثنية وردت في الأساطير الرومانية وقبائل البانتو التي كانت تسكن في أفريقيا الجنوبية الشرقية وغيرها من الشعوب، وأن الروح التي صارعت يعقوب تشبه الأروح التي كانت عدد من الشعوب تعتقد بوجودها في الأنهار.[2]

ومع أن هذه النتيجة التي ذهب إليها جيمس فريزر محل نقد ونظر، وتحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث، ولكن حتى وإن تم التأكد من الأصول الأسطورية الشعبية لهذه القصة، يبقى السؤال مطروحا حول سبب اختيار كتبة التوراة لهذه الأسطورة تحديدا وإضافتها لتاريخ يعقوب عليه السلام بشكل خاص، وما ذلك إلا لإثبات مقصد من خلالها وهو التأكيد على المكانة الوجودية الفوقية والسيادية ليعقوب عليه السلام ونسله على جميع أمم الأرض وشعوبها، وخصوصا عند دراسة الأساطير التي أشار إليها فريزر

---

1 – سفر التكوين – 32: 22 – 32.

2 – انظر– فريزر، جيمس – الفلكلور في العهد القديم – ترجمة د. نبيلة إبراهيم – دار رؤية للنشر، القاهرة – ط 1، 2016 – ج 2 ص 480 – 492.

والتي تتمثل بأن القوة والغلبة المطلقة ستكون للإنسان الذي يتغلب على الأرواح القوية وإعطائها الحق له بالسيادة على غيره من الأمم والشعوب.

لقد تم اختيار هذه الحادثة وصياغتها في التوراة – حتى وإن كانت قصة اسطورية قديمة – بطريقة يهودية وبأسلوب يهودي لتحقيق مقصد وغاية، ويظهر ان سبب وجودها في سفر التكوين تثبيت البركة الإلهية ليعقوب عليه السلام عن طريق القوة والتميز باستحقاقها، وتثبيت فكرة حلول قوة الإله في الشعب الإسرائيلي، تأكيدا لتميزه وخصوصيته بين كل شعوب الأرض للوصول إلى نهاية حتمية تفيد بأن هناك سببا وجيها يدعو جميع أمم الأرض للاذعان لهذا الشعب، الذي سينتصر دائما على كل أمم الأرض بصورة حتمية، وهنا تتولد عقيدة (الشعب الذي لا يُقهر ) في نفوس اليهود، والأمة التي لا تقهر، والأمة المتفوقة والمتغلبة على جميع الأمم.

وإن من أهم النصوص التي أشارت إلى هذا المقصد الوجودي في أسفار التناخ اليهودي النبوءة التي وردت في سفر المزامير، والتي تتحدث عن أن الرب اختار مسيحه الذي سيصبح ملكا على جبل صهيون والذي سيعطيه جميع الأمم ميراثا له، وسيعطيه أقاصي الأرض في هذا الميراث، فيقول: **(لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟
2قَامَ مُلُوكُ الأَرْضِ وَتَآمَرَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ قَائِلِينَ: 3«لِنَقْطَعْ
قُيُودَهُمَا وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا». 4اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ.
5حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ. 6أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ
جَبَلِ قُدْسِي. 7إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: «أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ.
8اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ. 9تُحَطِّمُهُمْ بِقَضِيبٍ مِنْ
حَدِيدٍ. مِثْلَ إِنَاءِ خَزَّافٍ تُكَسِّرُهُمْ». 10فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ
الأَرْضِ. 11اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ. 12قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ
الطَّرِيقِ. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ).** [1]

1 – سفر المزامير 2: 1 – 12.

وبعد النظر في هذه النصوص التوراتية، ونصوصا كثيرة غيرها، في أسفار الأنبياء والتي تتحد معها في إثبات نفس المقصد، فإننا نجد أن هذه النصوص تؤكد على أن المرحلة الأخيرة في المكانة الوجودية للذات الجمعية الإسرائيلية واليهودية في هذا العالم هو حكم العالم والسيادة على جميع أمم الأرض وشعوبها.

وإن هذا المقصد نتج بشكل أساسي من التوراة التي انعكس فيها الفكر اليهودي الديني، وانعكست فيها الرؤية اليهودية للعالم ولمكانة الذات اليهودية فيه، والتي أثرت بدورها في جميع المصادر الدينية اليهودية، وخاصة التلمود وتعاليم الحاخامات وكتاب الزوهار القبّالي، حيث رسخت هذه المصادر في نفس الإنسان اليهودي فكرة أن الإله اليهودي سيد السماء والإنسان اليهودي سيد الأرض، ومن يعارض سيادته ولا يخضع لها فإنه يعارض ويعادي الإرادة الإلهية ذاتها، لأنه يعمل على منع اليهود من تحقيق مكانتهم الوجودية بين أمم الأرض الموعودة لهم من قبل الإله نفسه وبخالص إرادته.

ويعد هذا المقصد الوجودي نتيجة تراكمية نتجت عن تراكم عدد من الأصول العقدية التي أثبتتها التوراة وأسفار التناخ جميعها بصورة واضحة، ومن أهمها: تخصيص البركة الإلهية ببني إسرائيل، واختيارهم أمة العهد والوعد، وتخصيص الوحي الإلهي والنبوة فيهم وفي نسلهم من بعدهم، ووعدهم بملكية أرض كنعان التي ستصبح مركزا لحكم العالم، وكذلك مجموعة العقائد والرؤى اليهودية للإنسان غير اليهودي والتي تراه بإنسانية ناقصة في أصل خلقه وتكوينه.

لأجل ذلك ترسخ هذا المقصد الوجودي في نفسية الإنسان اليهودي، دينيا ووجوديا لدرجة أن المحور الأساسي الذي يشغل الذهنية اليهودية في نظرتها لذاتها في هذا العالم، هو كيفية تكوين مملكة إلهية دينية يهودية يتم حكم اليهود للعالم وجميع أممه من خلالها، والسيادة عليهم وتحويلهم إلى خدم لهذه المملكة ولهذه السيادة المطلقة.

وقد سعى اليهود في كل عصر من عصور تاريخهم الطويل لتحقيق هذا المقصد الوجودي حتى وقتنا المعاصر، يقول مائير روتشيلد[1] لأبنائه عندما حضرته الوفاة عام

1 – مؤسس أكبر إمبراطورية مالية عائلية في العالم ومؤسس جماعة النورانيين.

1812م: " تذكروا يا أبنائي أن الأرض جميعا ينبغي أن تكون لنا نحن اليهود، وأن غير اليهود حشرات يجب ألا يملكوا شيئا"، [1] ويعلق مجدي كامل على الاجتماعات التي عقدها مائير روتشيلد مع زعماء الصهيونية بقوله : "وهكذا كانت الاجتماعات التي عقدها مائير روتشيلد مع زعماء الصهيونية تركز على دراسة الخطط التي تؤدي إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية، واستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود"، [2] ويتحدث أيضا عن الهدف الأساسي من أول مؤتمر صهيوني عقد في مدينة بال بسويسرا سنة 1897م برئاسة صموئيل هيرتزل فيقول : "وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود". [3]

وهذا ما أكده هنري فورد مؤلف كتاب "اليهودي العالمي" إذ يقول: " فاليهودي لغز عالمي فهو فقير بين رفاقه إلا أنه يسيطر على أموال العالم، وهو مشرد في دول العالم دون بلد أو حكومة إلا إنه يحافظ على جنسه متحد بطريقة لم يحققها أي شعب آخر، وهو يعيش تحت قيود سياسية في كل دولة تقريبا إلا إنه سيطر على كثير من العروش، وهناك نبوءات تقول بأن اليهودي سيعود الى وطنه ثم يحكم العالم من هناك".[4]

وإن هذا المقصد الوجودي ليس مجرد عقيدة أو رؤية أو طموح بالنسبة للذات الجمعية اليهودية وإنما يمثل نزعة نفسية متأصلة في أعماق الذات اليهودية الجمعية، أثرت في تكوين النصوص التوراتية عن طريق الكتبة ثم أثرت هذه النصوص في الأجيال المتلاحقة من اليهود الذين يعتمدون على التوراة في حياتهم ونظرتهم للمستقبل، ويرثون النوازع النفسية المتأصلة في ذاتهم التراثية إلى الذات الحاضرة فمكانة الذات المستقبلية.

وإن من أهم الأسباب النفسية التي كانت سببا في تكوين هذا المقصد الوجودي في النفسية اليهودية عبر التاريخ، نزعة التسيد الناتجة عن العنصرية والعدوانية في موقف

---

1 - كامل، مجدي - آل روتشيلد - دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة - ط 2014 - ص 14.

2 - المرجع السابق - ص 30

3 - المرجع السابق - ص 53.

4 - فورد، هنري - اليهودي العالمي - ترجمة أكرم مؤمن - مكتبة ابن سينا - القاهرة - ط 1 - ص 15، وانظر: غرانوتييه، بيرنارد إسرائيل سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة - ص 93.

اليهود من الآخر، فاليهودي لا يقبل الآخر لأنه يجد أن الآخر لا يساويه من ناحية المكانة الوجودية في هذا العالم وفي الحياة الإنسانية ، وغير قادر على الاندماج مع الآخر بشكل صحيح لأنه يعتقد أنه مختلف عن الآخر في أصل وجوده في هذا العالم منذ حادثة الخلق الأولى، ولا يمكن أن يكون الآخر مثله بأي حال من الأحوال، ولا يستطيع أن يكون محايدا في موقفه من الآخر، لأنه يعتقد أن وجود الآخر حرا يشكل خطرا على وجوده وعلى حريته، لأجل هذا فلابد من أن يكون اليهودي عنصريا تجاه الآخر إلى أبعد الحدود، وهذه العنصرية لا تستقيم ولا تتحقق مظاهرها الا بمعاداة الآخر، أو التسيد عليه أو إخضاعه بصورة مطلقة.

فاليهودي متمركز حول ذاته لا ينظر إلى الكون من خلال الكون نفسه، وإنما ينظر للكون من خلال نفسه هو، فهو محور الكون الذي يجب أن تدور كل محاور الكون حوله ولأجله خلق الإله الأرض والسماوات، وكوّن الكون والحياة ، وبه تتحقق ألوهية الإله، فالإله إله لليهود وحدهم وليس لغيرهم، وبه سيصلح الإله الخلل الكوني في الأرض وسيرسي فيها استقرارها ، لذا يعتقد اليهود أن الأرض لن تستقر وتنتهي منها الحروب والمجاعات والكوارث الطبيعية إلا إذا خضعت شعوب الأرض كلها لشعب الإله المختار ، فاليهود يعتقدون انهم أبناء الله وغيرهم أبناء الناس ولا علاقة لهم بالله الا من خلال وجود اليهود والإذعان لهم، ويعتقدون أن الإنسانية تجلت بوجودهم بأجلي صورها وأتمها ، وبغيرهم تمثلت الحيوانية والغوغائية التي تحتاج إلى من يقودها في مسيرة حياتها الأرضية والدنيوية .

لهذا فإن اليهود يعتقدون بأن عنصريتهم تجاه الآخر هي عنصرية إيجابية لأنها متوجهة إلى من يمنعون شعب الله المختار من حقهم في هذه الحياة وهو السيادة على مقدراتها وشعوبها، وبالتالي فلا ضير من معاداة الآخر طالما أنه يصر على التصدي للشعب اليهودي ومكانته الوجودية في هذه الحياة والتي أقرها لهم الإله بذاته. فتصبح عداوة اليهودي لغيره تحقيقا للإرادة الإلهية التي نصت عليها التوراة، وهنا يتم تبرير العنصرية اتجاه الأمم والشعوب بتبرير ديني يقبله السياق الفكري اليهودي ورؤيته للإنسان

والعالم ومكانتهم الوجودية فيه وينسجم مع معتقدهم بتوازن الأحداث الكونية بين اليهود وغيرهم.

"وإن ما قام به أسلاف اليهود من أعمال عدوانية تعتبر بطولات وأمجادا – بناء على هذه الرؤية – وعلى كل يهودي أن يلتزم بمنهج هؤلاء الإسلاف ومسلكهم في التعامل مع الآخر، وأن يكوّن من هذه السلوكيات شخصيته المتميزة والمترفعة والمشبعة بالتوجس والعدوان، ولهذا فإن نظام التعليم اليهودي يرتكز على تعريف الطفل في سن الرابعة على هويته وأسلافه ويدرب على الاحتراز من الأغيار وعدم مخالطتهم وزرع فكرة القداسة والاختيار – وبالتالي السيادة – في عقله الباطن ".[1]

يقول الكاتب دوغلاس ريد في كتابه " الجدل حول صهيون " : "في عام 1933م كتب "برنارد براون " يقول : " أن تكون عبرانيا عن وعي وإدراك هو أكثر أنواع الشوفينية[2] ثباتا لأنها الشوفينية الوحيدة القائمة على مقدمات مزيفة، وهذه المقدمات تخرج من التلمود والتوراة وبالذات القول بأن الرب وعد قبيلة محددة بالسيادة اللامحدودة على جميع الشعوب الأخرى المستعبدة من قبلها، وكذلك الحق المطلق الاستثنائي في الحياة الآخرة، ومقابل ذلك كله كان عليها أن تلتزم حرفيا بالشريعة القائمة على تقديم الأضاحي الدموية وتدمير الشعوب الأضعف والمستعبدة ". [3]

وإن من أهم الأسباب النفسية التي أسهمت في تكوين هذا المقصد الوجودي في الرؤية اليهودية لمكانة الذات الجمعية اليهودية في العالم هو الاستبداد المتعمق في

1 – خليل، على – اليهودية بين النظرية والتطبيق– منشورات اتحاد الكتاب العرب – ط 1997 م – ص 45 – 46.

2 – **الشوفينية:** هي الاعتقاد المغالي والتعصب لشيء والعنجهية في التعامل مع خلافه، وتعبر عن غياب رزانة العقل والاستحكام في التحزب لمجموعة ينتمي إليها الشخص والتفاني في التحيز لها؛ وخاصّة عندما يقترن الاعتقاد أو التحزب بالحط من شأن جماعات نظيرة والتحامل عليها، وتفيد معنى التعصب الأعمى.

3 – ريد، دوغلاس – الجدل حول صهيون – ترجمة اديب فارس – دار علاء الدين – دمشق – ط 2 2007 – 575.

الشخصية اليهودية نتيجة للشعور بالفوقية والكبرياء، فدراسة الشخصية الجمعية اليهودية سواء من خلال التوراة نفسها أو من خلال نصوص العهد الجديد وخصوصا الأناجيل الأربعة، ما تضمنته من نقد وجهه السيد المسيح عليه السلام لليهود في عصره التاريخي، أو من خلال آيات القرآن الكريم ونقده للشخصية اليهودية وأهم سماتها وصفاتها، توصل الباحث إلى الاستنتاج بأن أهم ما يميز الشخصية اليهودية عن غيرها هو الاستبداد المتعمق فيها نتيجة للشعور بالفوقية والكبرياء.

وإن هذا الاستبداد وهذا الشعور بالفوقية والكبرياء على جميع أمم الأرض لم يقف عند حدود الجانب الشعوري أو الشخصي أو النفسي، وإنما تحول إلى مقصد من مقاصد وجود الشخصية اليهودية ومكانتها في هذا العالم من خلال تجسيد هذه الصفة بحكم العالم وتحقيق السيادة على أمم الأرض.

"فلا يوجد أي عرق بشري يساند الاستبداد بطبيعته بقدر العرق اليهودي، ولا يوجد عرق آخر يشتهي ويحترم الاستبداد مثله، إن شعور اليهود بـ "قيمة التسيد" يفسر المسار الرئيس الذي تسير فيه أفعالهم وسلوكياتهم، ابتداء من طموحهم الشديد في جمع المال كقوة للتسيد والفوقية وحصولهم على المناصب، وانتهاء بطموحهم في حكم العالم والسيادة على أمم الأرض وشعوبها، فاليهودي لا يُعادي الملوك إلى أن يواجه بما يمنع من جعل اليهودي ملكا، نتيجة لمعتقده بحقه في الحكم المطلق للعالم في المستقبل عند مجيء ملك يهودي يجلس على عرش داود، الامر الذي ينسجم مع نبوءات كثيرة قديمة جدا ووثائق تتوافق مع البرنامج الاستعماري ". [1]

وإن هذا الشعور اليهودي المتعمق بالفوقية على أمم الأرض، أنتج ما يسمى بـ " التوحد في المعتدي دفاعا عن الوجود في الحياة"، وهي صفة نفسية ناتجة عن تكوين ردة الفعل لرؤية الآخر للذات اليهودية بصورة سلبية وغير ذات قيمة أساسية أو مهمة في الوجود.

1 – أنظر: فورد، هنري – اليهودي العالمي – ص 81 – بتصرف يسير، وانظر: البحرة، نصر الدين – نفسية اليهودي في التاريخ — مكتبة الأسد – دمشق – ط 1 – 2000 م – ص 33.

وبما أن الأمم نظرت لليهود من خلال هذه الرؤية السلبية على مدى تاريخهم الطويل بسبب أفعالهم المخالفة للفطرة الإنسانية ولمنطق الحياة السليم، فقد تضخم شعور اليهود بأهمية الدفاع عن وجودهم في الحياة، ووصل هذا التضخم إلى الاعتقاد بأنهم لن يستطيعوا أن يحققوا الاستقرار في الحياة والوجود بنسبة مقبولة من الأمان إلا من خلال العمل على التغلب والسيطرة على هذه الشعوب التي تعاديهم نفسها، لا من خلال الاندماج بها ومحاولة التصالح معها وتحقيق قدر من العيش المشترك.

يصف الدكتور رشاد الشامي هذه الصفة النفسية بمصطلح " الروح العدوانية والتوحد في المعتدي" فيذكر في توضيح معناها وبعدها النفسي قوله: " ... لقد نفذ إلى لب مكونات الشخصية الإسرائيلية والتي تكمن في الحقيقية السيكولوجية حقيقة أن أولئك الذين سبق أن عوملوا باستخفاف من الآخرين يفقدون الثقة في أنفسهم عن طريق الإدراك اللاشعوري بأنهم قد يحاولون إخفاء هواجسهم الداخلية عن الأشخاص الآخرين باتخاذ الغطرسة، إلا أن افتقارهم الخفي للثقة في أنفسهم يظل قائما، ومن أجل هذا السبب نراهم عندما يجدون الأشخاص الآخرين أضعف منهم يمارسون معهم نفس الاستخفاف ونفس القسوة اللذين احتملوهما فيما مضى وهذه الظاهرة معروفة في علم النفس بالتوحد في المعتدي ".[1]

ويذكر أن تعرض اليهود أثناء حياتهم في أوروبا للرؤية السلبية والأفعال المؤثرة في وجودهم كان المخرج منه لدى اليهود يتمثل بالتوحد في المعتدي، بحيث يتحول اليهودي الضحية معتديا فيقتل بدلا من أن يُقتل، ويحكم بدلا من أن يُحكم، وإن الهدف الجماعي لعملية التوحد بالمعتدي بناء على دراسات التحليل النفسي هو تحول المعتدى عليه إلى معتدي لمغالبة مشاعر الضعف القديمة المتعمقة في نفسيته، ومن جانب آخر فإنه يكوّن مجموعة من الضحايا ليستمر في الهرب من صورته مقتولا من ضحايا، وهو أمر لا يستطيع منه خلاصا ، ومن هنا نجد تفسير ذلك القهر الذي لا يجد القاتل منه

1 – الشامي، رشاد– الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – مجلة عالم المعرفة – الكويت – العدد 102 – 1986م– ص 123

فكاكا وهو أن يستمر في القتل كيلا يُقتل، ومع تزايد ضحاياه يتزايد خوفه من الثأر والانتقام وهكذا فإنه بالقتل يبرر حماية الحياة ودخل في دائرة شعورية مغلقة لا يستطيع الخروج منها او تجاوزها أبدا . " [1]

وبناء على هذه الصفة النفسية المتأصلة في نفسية وشخصية الذات اليهودية الجمعية، فإن التوحد في المعتدي أو المتحكم تفرض على اليهود بصورة نفسية التحكم ومحاولة التسيد على كل الأمم حتى لا تتمكن هذه الأمم من حكم اليهود وإخضاعهم لسلطتها، فتصبح الوسيلة الوحيدة للتخلص من حكم الأمم وتسيدها على اليهود وإخضاعهم، هو السعي الجاد والحثيث لإخضاع هذه الأمم والتسيد عليها، حتى لو أدى هذا المقصد الوجودي إلى القتل أو الاحتلال والاستعمار أو فعل أي شيء يمنع تحكم الأمم باليهود ويحقق تحكم اليهود بهم في نفس الوقت، خصوصا مع شعور اليهود بسعي الأمم لإخضاعهم وإذلالهم على مدى مراحل تاريخهم الطويل.

وان هذه الصفة النفسية تقودنا إلى صفة نفسية أعمق تأصلا في شخصية الذات اليهودية الجمعية وهي فقدان الذاتية ورغبة اليهودي العميقة في إنتاج ذاته من جديد، وهي الصفة النفسية التي تراكمت في نفسية الذات اليهودية الجمعية على مدى تاريخهم الطويل وأحداثه وتغيراته الكبيرة والتي كان من أكثر ما يميزها دوام خضوع اليهود الجبري للأمم السابقة التي عاشوا بينها وتحت سلطتها، ابتداء من عهد الفراعنة في مصر قبل الخروج مع موسى عليه السلام إلى سيناء ومنها إلى الأرض المقدسة أرض كنعان ، ومرورا بحياة اليهود في العصور الوسطى وخضوعهم للأمم المسيحية في أوروبا، ومرورا بحياتهم بعد عصر النهضة في أوروبا وخضوعهم للدول التي تكونت بعد عصر النهضة وسياساتها وأنظمتها المختلفة، فقد كان الشعور المسيطر على نفسية الذات اليهودية هو فقدان الذاتية والرغبة في انتاج هذه الذات من جديد.

وكان هذا الشعور النفسي العميق أحد أهم أسباب تكوين الحركة الصهيونية فيما بعد عصر النهضة، والتي تصب أفكارها في العمل على إعادة انتاج الذات اليهودية من

1 – نفس المرجع ص 124

جديد حيث يبدأ هذا الإنتاج الجديد للذات الجمعية اليهودية من تكوين دولة على أرض فلسطين تمثل وطنا قوميا لجميع اليهود في العالم وتنتهي بحكم العالم نفسه والسيادة على جميع أممه.

يفسر مالك بن نبي – رحمه الله تعالى – هذه الصفة أو هذه الظاهرة النفسية في الذات اليهودية ويطلق عليها مصطلح " اليهودي الذي رمى القناع"، أثناء حديثه عن ذلك القناع الذي كان يتستر اليهودي وراءه فلا يعلن عن نفسه نتيجة شعوره بفقدان الذات بين المجتمعات التي كان يعيش بينها في فترة الشتات، مع شعوره الدفين بالفخر والاعتزاز بعنصره إلى أن جاء الوقت الذي رمى فيه هذا القناع وبدأ يعلن عن هذا الفخر أمام العالم أجمع.

فيقول مالك بن نبي – رحمه الله تعالى –: " يهودي الشتات عرف الفخر والاعتزاز والحلم في عنصره فترة الشتات فهو لم يخنه، لذا بقي وسط الجموع وبينهم دون أن يفصح عن ذاته حماية له ولنشاطه في خصوصية عنصره الذي يعمل في الخفاء، ... فحياة اليهودي في الجيتو الزمته أن يعود إليه وبين كتفيه رقبة صلبة وبها يحقق أهدافه وإذ هو يدرك بدقته البرجوازية الأوروبية في تفاعل إحساسها بالشفقة والرحمة فقد استطاع أن يعطي الانطباع الأقصى من الخضوع في قسمات وجهه وهو يحمل في داخله الكبرياء". [1]

ثم يسوق عددا من الأمثلة عن عدد من العلماء والقادة اليهود في العالم الغربي والعربي الذين عاشوا في الخفاء نتيجة شعورهم بفقدان ذاتهم وضياعها، وفي المقابل كانوا يعملون بكل جد واجتهاد على استعادة هذه الذات دون أن يصلوا إلى حد العلن حتى حققوا أهدافهم، إلى أن يقول: " هكذا القى اليهودي القناع بعد ألفين من السنين، وكما خرج اليهودي من الجيتو ليصبح مواطنا في بلد أجنبي ها هو اليوم يخرج من الظل من

1 – بن نبي، مالك – المسألة اليهودية – دار الفكر – دمشق – ط 2012 – ص 88

الخيال من غمار المجتمع إلى اشهار جنسية إسرائيل وبقدر هذه الجنسية أعلن نفسه مؤلف ومعلم العصر الحديث ". [1]

ولهذا تتحول قضية الرغبة في حكم العالم من طموح إنساني طبيعي إلى مقصد وجودي في الرؤية اليهودية للعالم وللذات والآخر، بحيث تعبر عن المكانة الوجودية للذات الجمعية اليهودية، وتعبر عن تحقيق الذات في الوجود المطلق في هذا العالم والتخلص من الشعور الدائم بفقدان الذات، والعمل على إعادة انتاج هذه الذات من جديد، ولهذا نجد أن اليهود يقدسون مملكة سليمان عليه السلام والهيكل الذي بُني فيها ويعظمونها ويتخذون رموزا دينية دالة عليها في كثير من طقوسهم ورموزهم الدينية والقومية، ويفصحون بشكل دائم عن رغبة بإعادة بناء هيكل سليمان عليه السلام ومملكة سليمان عليه السلام، وذلك لأنها تمثل المملكة الوحيدة والفترة التاريخية الوحيدة التي شعر اليهود فيها بتحقيق ذاتهم وإعادة بنائها في الوجود بشكل كبير.

يقول الشيخ عبد الله الجميلي : " ... وما زال اليهود على حالهم وعنادهم حتى سلط الله عليهم نبوخذ نصر ملك بابل فدمر مدينتهم القدس وخرب هيكلها وسبى أكثر سكانها وقد بقي اليهود ما شاء الله أن يبقوا تحت الأسر البابلي، حتى أذن ملك الفرس لليهود بالعودة إلى فلسطين، وعندما استقر اليهود في فلسطين – بعد عودتهم من بابل – أخذوا يحلمون بعصورهم الذهبية في عهد داود وسليمان عليهما السلام وما كانوا يعيشونه من نعم الله الوافرة وما كانوا فيه من عزة وقوة، فظن هؤلاء أن ذلك كان بسبب داود وسليمان عليهما السلام، فمن هنا أخذ اليهود ينادون بملك من آل داود يعيد لهم عزهم ومجدهم الغابر فكان أن وافقت هذه العصور فترة تدوين اليهود لأسفارهم فنسبوا إلى الله فيها بأنه وعدهم أن يُبقى على عرش إسرائيل رجلا من آل داود إلى الأبد، وذلك ليضيفوا على أحلامهم صبغة شرعية لتنال الاحترام عند اليهود، فكانت هذه بداية عقيدة حصر الملك في آل داود عند اليهود ثم تناقلها اليهود جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا

1 – نفس المرجع – ص 91

فمازال اليهود اليوم يحلمون ببناء هيكل سليمان وتنصيب رجل من آل داود على عرش إسرائيل". [1]

**المبحث الثاني:**

**مقومات المكانة الوجودية "للآخر" في الرؤية اليهودية للعالم**

إن الرؤية اليهودية للعالم لا تنكر وجود الآخر في هذا العالم، ولا تستثنيه من الرؤية العامة للوجود الإنساني، فهي تعترف بوجود الآخر وخلقه، أو لم تستطع نفي وجوده وإقصائه من هذا العالم بصورة مطلقة، وهي لا تنص أو تشير إلى ضرورة فناء أو إفناء الآخر من الوجود بصورة مطلقة، ولم يكن إفناء الآخر هدفا حتميا في الرؤية اليهودية للآخر، ولكنها سعت بصورة حثيثة إلى تحديد مكانة وجود الآخر في هذا العالم وهذه الحياة مقابل وجود الذات الجمعية اليهودية، وتحديد مقومات وجوده ومقاصدها مثلما سعت إلى تحديد مقومات ومقاصد وجود الذات اليهودية، وجعلت وجوده وجودا نسبيا متعلقا بمدى انسجام الآخر مع مقاصد وجود الذات اليهودية في العالم وقبوله لها وإيمانه بها.

فنجد أن المصادر الدينية اليهودية تستحضر وجود الآخر في رؤيتها الدينية والحياتية والعالمية، فتتحدث التوراة عن الأمم والشعوب التي عاش بينها بنو إسرائيل واليهود في فترات تاريخهم الطويل وتحولاتها التاريخية، وتستحضر علاقتهم بهذه الأمم والشعوب سواء في إطارها ومستواها الإيجابي – من خلال وجهة النظر التأريخية اليهودية – أو في إطارها ومستواها السلبي والعدائي والاقصائي.

فمن خلال هذه المصادر نجد أن المكانة الوجودية للآخر في هذا العالم، يمكن أن تكون مكانة إيجابية وذات فاعلية ومعنى في الحياة طالما أن الآخر يؤمن بمقاصد وجود الشعب اليهودي ومكانته في الحياة، وتكون في غاية السلبية والندية والعدائية إن هي عارض هذه المكانة ومقوماتها ومقاصدها.

---

1 – الجميلي، عبد الله – بذل المجهود في اثبات مشابهة الرافضة لليهود – مكتبة ابن تيمية – ط 1 – 1992 – ص 188.

وبعد استقراء عدد من أسفار التناخ اليهودي، وخصوصا بعض أسفار المكتوبات والأسفار النبوية، ومن خلال المقابلة الاستنتاجية المستفادة من المقاصد الوجودية للذات اليهودية الجمعية والدالة على مكانتها في هذا العالم وهذه الحياة نجد أن الرؤية اليهودية للعالم والإنسان تؤكد على ان مكانة وجود الآخر تتمثل في مقومات أو مقاصد ثلاثة، وهي: **الأول:** الإذعان لمهمة اليهود الخلاصية للعالم وإصلاح الخلل الكوني فيه، **الثاني:** الإذعان لمملكة إله اليهود في الأرض وطاعة شريعتها، **والثالث:** الاعتراف بحق اليهود في حكم العالم والإذعان لسيادتهم على أمم الأرض.

وتشير هذه الرؤية اليهودية إلى أن هذه المقومات الثلاثة إن تحققت في وجود الأمم فإنها وجودها يعد ووجودا إيجابيا وفاعلا في مقابل وجود الذات الجمعية اليهودية، وإن لم تتحقق فإن وجودها يعد وجودا سلبيا ومعارضا للإرادة الإلهية، وبالتالي تحكم هذه الرؤية على الآخر وعلى الأمم وتتنبأ بانتهاء وجودها وفنائها وحتمية عدم استمرارها في هذه الحياة.

لهذا نجد أن الرؤية اليهودية للعالم وللإنسان قد سارت في تحديد مقومات المكانة الوجودية للآخر من خلال اتجاهين متمايزين، لكل اتجاه منهما مقوماته ومميزاته التي تبدأ بحادثة خلق الآخر الإنساني وأصولها وتفسيراتها في الفكر الديني اليهودي، وتنتهي بتحديد كيفية وجود الآخر الإنساني ومقوماتها وطبيعتها في الحياة القادمة أو في آخر الأيام والأحداث الأخيرة لهذا الزمان الدنيوي الأول.

وإن موقف اليهود والديانة اليهودية من الآخر ناتج عن هذين الاتجاهين وتصوراتهما ومقومات كل منهما في الرؤية اليهودية لوجود الآخر، لهذا سأتحدث في هذا المبحث عن هذين الاتجاهين من خلال مقومات المكانة الوجودية للآخر، ولن يكون حديثي عن موقف الديانة اليهودية من الآخر كما هو البحث المعتاد في كثير من الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وإنما سأتحدث عن مقومات الرؤية اليهودية لمكانة الآخر في العالم والحياة مقابل وجود الذات اليهودية الجمعية، والتي أعدُها من أهم مصادر وأسباب الموقف اليهودي من الآخر ومن أهم الدوافع لتكوين هذا الموقف.

**المطلب الأول:**

**الإذعان لمهمة اليهود الخلاصية للعالم وإصلاح الخلل الكوني فيه**

عندما ساد الاعتقاد في الرؤية اليهودية القبّالية لوجود الذات اليهودية في هذا العالم على أساس ارتباطها بوجود الذات الإلهية نفسها وإعلان الإله عن ذاته في هذا العالم عن طريق الشعب الإسرائيلي، فإن هذه الرؤية كانت تستحضر وجود الآخر كذلك، ولكن بناء على أساس أن الآخر يمثل حالة الانفصال عن الإله.

فشعب إسرائيل يمثل التجلي العاشر من مراحل فيض التجليات الإلهية التي من خلالها أعلن الإله عن نفسه وذاته لهذا العالم، والتي جاءت بعد التجلي الثامن وهو "يسود عولام" أي أساس العالم، والتجلي التاسع وهو "ملكوت" أي المملكة الإلهية، ثم بعد فيض التجلي العاشر عن الإله وهو شعب إسرائيل خلق الإله العالم. [1]

وإن هذه التجليات تعتبر التجليات النورانية المقدسة الخيرة العليا، والتي يقابلها عشرة تجليات ظلامية شريرة وسفلى، وهي التجليات التي انفصلت عن الإله في هذا العالم نتيجة لانفصال الإنسان عن الإله عندما أكل آدم عليه السلام من شجرة المعرفة، والتي تسببت بالتالي بانفصال السكينة عن هذا العالم وحياة الإنسان فيه، فتسبب هذا الانفصال بالكوارث والحروب والقتل والفقر والأمراض وأسباب التعاسة والشقاء للإنسان.[2]

وإن هذه التجليات العشرة الظلامية الشريرة والسفلى هي التي صدر خلق الإنسان غير اليهودي منها، وهي سبب وجوده في هذه الحياة وهذا العالم، حيث يسود الاعتقاد في هذه الرؤية بأن الاختلاف بين اليهود وغيرهم من الأمم والشعوب ليس في مجرد العقيدة والمعتقد فحسب، وإنما يعود لمسألة الأصول الغيبية الوجودية المختلفة للذات اليهودية وللآخر قبل وجود هذا العالم، فأرواح الشعب اليهودي مستمدة من الكيان الإلهي المقدس، في حين أن أروح الأغيار صدرت من الجانب الآخر الظلامي والشيطاني الذي يقابل التجليات العشرة الخيّرة ويدخل معها في صراع دائم للسيطرة على هذا العالم.[3]

1 – انظر: المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج 5 – ص 259 – 260

2 – انظر: المرجع السابق

3 – المرجع السابق – ص 261

إلا أن هذه الرؤية تعترف بوجود بعض الخيرين وأصحاب الصفات الحسنة من مجموع الفئات البشرية التي صدرت وخلقت من التجليات العشرة الظلامية، ولكنها تفسر سبب خيرتهم وصفاتهم الحسنة بأنهم يملكون أرواح يهودية في الأصل ولكنها ضلت طريقها في عالم الغيب بالارتباط بأصل وجودها في التجليات النورانية العشرة،[1] أو أنها أرواح اعترفت بقداسة الشعب اليهودي وارتباطه بالذات الإلهية وباركت وجوده في هذه الحياة والمقصد من وجوده في العالم المتمثل بمهمة إصلاح الخلل الكوني فيه، عن طريق تطبيق الشريعة اليهودية وعدم معارضتها والانسحاب من حالة الصراع مع اليهود بشكل كامل، للتمكن من القيام بمهمتهم في إصلاح الخلل الذي أصاب الكون.

وبناء على هذه الرؤية يتم تفسير الخطاب الإلهي لإبراهيم عليه السلام عندما قال له الرب : ( : " **أترك أرضك وعشيرتك وبيت أبيك واذهب إلى الأرض التي أريك فاجعل منك أمة كبيرة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة لكثيرين وأبارك مباركيك وألعن لاعنيك وتتبارك فيك جميع أمم الأرض** )،[2] أن من معاني البركة التي أعطيت لإبراهيم عليه السلام وبنيه، أنهم سيكونون سببا في نفي كل معاني الشقاء الحياتي عن أية امة تباركهم وتعترف بمكانتهم الوجودية ومهمتهم في هذه الحياة، وفي نفس الوقت يؤدي عدم الاعتراف لهم بهذه المكانة بحدوث الشقاء وكل تبعاته في الحياة.

فتنص هذه الرؤية على أن المكانة الوجودية الإيجابية للآخر في هذا العالم تتمثل بعودة الأرواح اليهودية التي ضلت سبيلها عن التجليات النورانية ممن يحملون الصفات الخيّرة من أبناء الأمم، وتتمثل بمباركة الشعب الإسرائيلي واليهودي وتبعيته في مهمته الإصلاحية والخلاصية لهذا العالم.

وتصبح المهمة التي يتوجب على جميع الأمم القيام بها بناء على هذه الرؤية والتي تحدد مكانتهم الوجودية الإيجابية هي التحرر من قوى الشر والقوى الظلامية لتحقيق الخلاص للعالم كله. وهذا التحرر لن يتم إلا من خلال اتباع هذه الأمم والشعوب للحق

---

1 - المرجع السابق – ص 262

2 – سفر التكوين 12: 1.

الذي قرره الإله لشعبه بني إسرائيل، وهذا ما أشار اليه سفر دانيال في نبوءته عن آخر الأيام.

حيث يقول: **(وفي ذلِكَ الزَّمانِ ينهَضُ ميخائيلُ، رئيسُ المَلائِكةِ العظيمُ الذي يعتَمِدُ علَيهِ بَنو شعبِكَ، ويكونُ وقتُ ضِيقٍ لا مَثيلَ لَه مُنذُ كانَتِ الأمَمُ إلى ذلِكَ الزَّمانِ. ولَكِنْ في ذلِكَ الزَّمانِ يَنجو مِنْ شعبِكَ كُلُّ مَنْ يُوجدُ اسمه مكتُوبًا في الكتابِ، 2وكثيرٌ مِنَ الرَّاقِدينَ في تُرابِ الأرضِ يستَيقِظونَ بَعضُهُم للحياةِ الأبديَّةِ وبَعضُهُم للعارِ والذُّعْرِ الأبديّ. 3ويُضيءُ العُقلاءُ كضياءِ الأفلاكِ في السَّماءِ، والذينَ هَدُوا كثيرًا مِنَ النَّاسِ إلى الحقّ يُضيئونَ كالكَواكِبِ إلى الدَّهرِ والأبدِ. 4وأنتَ يا دانيالُ، أغلِقِ الكتابَ واختُمْهُ إلى آخرِ الأيّامِ، وإلى أنْ يَحينَ الوقتُ، يَشُطُّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ ويزدادُ السُّوءُ ... 10كثيرٌ مِنَ النَّاسِ يتَنَقَّونَ ويتَطَهَّرونَ ويُمَحَّصونَ، والأشرارُ يفعَلونَ الشَّرَ ولا أحدَ مِنهُم يفهَمُ، أمَّا العُقلاءُ فيَفهَمونَ).**[1]

فهذا النص يبين أن البشر لن يكونوا سواء، فمنهم من سيهتدي إلى الحق ويضيئون كالكواكب إلى الدهر والأبد، بينما يُصر كثير من الناس على شرهم وابتعادهم عن الحق ويزداد السوء في الأرض. وهنا يشير سفر المزامير إلى أن الخلاص الذي يجب أن تسهم الأمم والشعوب في تحقيقه لن يحدث إلا من خلال شريعة إله اليهود واحترامها والابتهاج بوجودها في هذه الحياة، وعبادة وتوقير إله اليهود، واحترام شعبه وتوقيرهم فيقول: **(طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ وَفِي طَرِيقِ الْخُطَاةِ لَمْ يَقِفْ وَفِي مَجْلِسِ الْمُسْتَهْزِئِينَ لَمْ يَجْلِسْ. 2لَكِنْ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً. 3فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ. وَكُلُّ مَا يَصْنَعُهُ يَنْجَحُ. 4لَيْسَ كَذَلِكَ الأَشْرَارُ لَكِنَّهُمْ كَالْعُصَافَةِ الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ. 5لِذَلِكَ لاَ تَقُومُ الأَشْرَارُ فِي الدِّينِ وَلاَ الْخُطَاةُ فِي جَمَاعَةِ الأَبْرَارِ. 6لأَنَّ الرَّبَّ يَعْلَمُ طَرِيقَ الأَبْرَارِ أَمَّا طَرِيقُ الأَشْرَارِ فَتَهْلِكُ).**[2]

---

1 - سفر دانيال 12: 1 - 10

2 - سفر المزامير – 1: 1 – 6

ويقول: **(فَالآنَ يَا أَيُّهَا الْمُلُوكُ تَعَقَّلُوا. تَأَدَّبُوا يَا قُضَاةَ الأَرْضِ. 11<u>اعْبُدُوا الرَّبَّ بِخَوْفٍ وَاهْتِفُوا بِرَعْدَةٍ</u>. 12<u>قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ فَتَبِيدُوا مِنَ الطَّرِيقِ</u>. لأَنَّهُ عَنْ قَلِيلٍ يَتَّقِدُ غَضَبُهُ. طُوبَى لِجَمِيعِ الْمُتَّكِلِينَ عَلَيْهِ).** [1]

فهذا النص يبين أن مكانة الأمم الإيجابية تتحقق بالإذعان لإله اليهود خوفا منه ومن انتقامه منهم إن لم يذعنوا له ولعبادته، وأشار النص إلى التأكيد على أن الشعب المختار هو الابن الذي يتوجب على جميع الأمم والشعوب الامتثال له واحترامه وتوقيره حتى لا يبيدوا من طريق هذا الوجود واستمراره.

### المطلب الثاني:

### الإذعان لمملكة إله اليهود في الأرض وطاعة شريعتها

عندما نصت الرؤية اليهودية للعالم وللإنسان على أن الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد المكلف بإقامة مملكة الإله في هذه الأرض وأنه الشعب الذي لا يجب أن يخضع لأية سلطة بشرية مهما كانت مكانتها ومهما كانت قوتها، حتى ولو كانت هذه السلطة نابعة من بني إسرائيل أنفسهم، وأن السلطة الوحيدة التي يجب أن تحكم هذه المملكة هل سلطة الإله والتي يقوم الكهنة بتنفيذ تطبيقها في الشعب، فإن هذه الرؤية عبرت عن المكانة الإيجابية لوجود الآخر ووجود الأمم إذا امتثلوا لتنفيذ الإرادة الإلهية بتمكين اليهود من إقامة هذه المملكة الإلهية الدينية في الأرض وحمايتها وحماية وجودها.

يقول سفر المزامير في إثبات ضرورة إقامة هذه المملكة: **(<u>قَدِّمُوا لِلرَّبِّ يَا أَبْنَاءَ اللهِ قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْداً وَعِزّاً</u>. 2<u>قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. اسْجُدُوا لِلرَّبِّ فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ</u>. 3صَوْتُ الرَّبِّ عَلَى الْمِيَاهِ. إِلَهُ الْمَجْدِ أَرْعَدَ. الرَّبُّ فَوْقَ الْمِيَاهِ الْكَثِيرَةِ. 4صَوْتُ الرَّبِّ بِالْقُوَّةِ. صَوْتُ الرَّبِّ بِالْجَلاَلِ. 5صَوْتُ الرَّبِّ مُكَسِّرُ الأَرْزِ وَيُكَسِّرُ الرَّبُّ أَرْزَ لُبْنَانَ 6وَيُمْرِحُهَا مِثْلَ عِجْلٍ. لُبْنَانَ وَسِرْيُونَ مِثْلَ فَرِيرِ الْبَقَرِ الْوَحْشِيِّ. 7صَوْتُ الرَّبِّ يَقْدَحُ لُهُبَ نَارٍ. 8صَوْتُ الرَّبِّ يُزَلْزِلُ الْبَرِّيَّةَ. يُزَلْزِلُ الرَّبُّ بَرِيَّةَ قَادِشَ. 9صَوْتُ الرَّبِّ يُوَلِّدُ الإِيَّلَ**

1 - سفر المزامير 2: 10 – 12

**وَيَكْشِفُ الْوُعُورَ وَفِي هَيْكَلِهِ الْكُلُّ قَائِلٌ: «مَجْدٌ». 10الرَّبُّ بِالطُّوفَانِ جَلَسَ وَيَجْلِسُ الرَّبُّ مَلِكاً إِلَى الأَبَدِ. 11الرَّبُّ يُعْطِي عِزّاً لِشَعْبِهِ. الرَّبُّ يُبَارِكُ شَعْبَهُ بِالسَّلاَمِ).** [1]

فهذا النص يشير إلى أن بني إسرائيل هم أبناء الله وأنه يتوجب عليهم إقامة مجده وعزه في هذه الأرض باسمه واسم شريعته وتطبيق أوامرها التي فرضها عليهم، ويشير النص إلى وجود بعض الممالك التي ستعارض وجود هذا المجد الإلهي الذي سيقيمه أبناؤه المختارين إلا أن الرب سيكسر شوكهم ويفنيهم من طريق إقامة هذه المملكة وأنه ملكه سيسود الأرض وبمجده ومجد مملكته التي يقيمها أبناؤه بنو إسرائيل سيتحقق السلام في الأرض.

وتأكيدا على هذا المعنى يقول السفر: **(طُوبَى لِلأُمَّةِ الَّتِي الرَّبُّ إِلَهُهَا الشَّعْبِ الَّذِي اخْتَارَهُ مِيرَاثاً لِنَفْسِهِ. 13مِنَ السَّمَاوَاتِ نَظَرَ الرَّبُّ. رَأَى جَمِيعَ بَنِي الْبَشَرِ. 14مِنْ مَكَانِ سُكْنَاهُ تَطَلَّعَ إِلَى جَمِيعِ سُكَّانِ الأَرْضِ. 15الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعاً الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ. 16لَنْ يَخْلُصَ الْمَلِكُ بِكَثْرَةِ الْجَيْشِ. الْجَبَّارُ لاَ يُنْقَذُ بِعِظَمِ الْقُوَّةِ. 17بَاطِلٌ هُوَ الْفَرَسُ لأَجْلِ الْخَلاَصِ وَبِشِدَّةِ قُوَّتِهِ لاَ يُنَجِّي. 18هُوَذَا عَيْنُ الرَّبِّ عَلَى خَائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ 19لِيُنَجِّيَ مِنَ الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ وَلِيَسْتَحْيِيَهُمْ فِي الْجُوعِ. 20أَنْفُسُنَا انْتَظَرَتِ الرَّبَّ. مَعُونَتُنَا وَتُرْسُنَا هُوَ. 21لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا).**[2]

يؤكد هذا النص على أن الخلاص في هذه الحياة لن يكون بكثرة الجيوش وبعظمة القوة وإنما سيكون باسم الرب وطاعته والاتكال عليه، وتبين نبوءة إرميا أن مملكة الإله ستقوم في آخر الأيام وأن الخلاص من أبناء الأمم والشعوب لن يكون إلا لمن ينفذ الإرادة الإلهية بإقامتها ووجودها في هذه الأرض وحكمها عليها.

وورد فيه أيضا قول الكاتب عن إرميا : **( 17وقالَ الرّبُّ: «لا يَنقَطِعُ لِداوُدَ رَجلٌ مِنْ نَسلِهِ يَجلِسُ على عرشِ بَيتِ إِسرائيلَ 18ولا يَنقَطِعُ لِكَهنَةِ اللاَّويِّينَ رَجلٌ يُصعِدُ المُحرقاتِ أمامي ويُقَدِّمُ قرابينَ الحِنطَةِ، ويَذبَحُ الذَّبائِحَ إلى الأبدِ».19وقالَ الرّبُّ لإرميا:**

1 – سفر المزامير – 29: 1 – 11

2 – سفر المزامير – 33: 12 – 21

**20«إنْ أمكَنَ أنْ تَنقُضوا عَهدي معَ النَّهارِ وعَهدي معَ اللَّيلِ، حتى لا يكونَ اللَّيلُ ولا النَّهارُ في أوانِهما، 21يُمكِنُ أنْ تَنقُضوا عَهدي معَ داوُدَ عبدي حتى لا يكونَ لَه مِنْ نَسلِهِ مَنْ يَملِكُ على عرشِهِ، ومعَ الكَهنَةِ اللاَويّينَ خُدَّامي، 22وكما أنَّ نُجومَ السَّماءِ لا تُحصى، ورَمل البحرِ لا يُكالُ، كذلِكَ أُكثِرُ ذُرِّيَّةَ داوُدَ عبدي واللاَويّينَ خُدَّامي).** [1]

وقد ورد في سفر يوئيل أنه في آخر الزمان لابد من أن تقوم مملكة الإله في الأرض من خلال شعبه وهنا يسكب الرب روحه على كل أهل الأرض، قبل مجيء يوم الرب العظيم، وأنه كل من يدعو باسمه من البشر سيخلص وينجو، وأن النجاة لن تكون إلا في جبل صهيون وفي أورشاليم.

يقول النص: **(ثُمَّ أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ أَبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاماً وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤى. 29وَأَسْكُبُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ أَيْضاً رُوحِي عَلَى الْعَبِيدِ وَالإِمَاءِ. 30وَأُجْرِي آيَاتٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ، دَماً وَنَاراً وَأَعْمِدَةَ دُخَانٍ. 31وَتَتَحَوَّلُ الشَّمْسُ إِلَى ظَلاَمٍ، وَالْقَمَرُ إِلَى دَمٍ، قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الْمُخِيفِ. 32إِنَّمَا كُلُّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَخْلُصُ، لأَنَّ النَّجَاةَ تَكُونُ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، كَمَا قَالَ الرَّبُّ، إِذْ يَكُونُ بَيْنَ النَّاجِينَ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ).** [2]

### المطلب الثالث:

### الاعتراف بحق اليهود في حكم العالم والإذعان لسيادتهم على أمم الأرض

لقد نصت الرؤية اليهودية للعالم والإنسان على أن الأمة التي اختارها الإله وميزها عن باقي الأمم والشعوب في أصل خلقها ووجودها وتكوينها، فأوجدها من خلال ذاته، وتسري فيها روح الإله، وهي فيض من فيوضاته التي بها أعلن عن نفسه للعالم، وهي الأمة التي اختصها ببركته الإلهية، وقطع معها عهده الأبدي بأن يكون إلها خاصا لها وتكون أمة مقدسة ومباركة خاصة له، واختصها بالنبوة وإرسال الأنبياء دون جميع الأمم والشعوب الأخرى، وهي الأمة التي وعدها بتملكيها الأرض الموعودة لإقامة مملكة الإله

1 - سفر إرميا 23: 17 – 22

2 - سفر يوئيل 2: 28 – 32

عليها، وهي الامة التي كلفها بإصلاح الخلل الكوني الذي أصاب الكون وجعل أفعالها الحسنة والسيئة معيارا لمدى تحقيق السلام في هذا العالم، هي الأمة المستحقة لحكم العالم والسيادة على أمم الأرض وقيادتهم إلى الخلاص الأبدي والسلام النهائي.

وبالتالي فإن من واجب الأمم والشعوب الاعتراف بحق هذه الأمة في حكم العالم والإذعان لسيادتهم على جميع الأمم والشعوب، بل وقبول خدمة هذه الأمة والإذعان لمراداتها، وأصبحت هذه القضية هي المعيار الأساسي في النظرة اليهودية للمكانة الوجودية للآخر، فإن تحقق هذا الاعتراف وتم قبول هذه السيادة وخدمة هذه الأمة في كل شأن من شؤون وجودها، فإن وجود الآخر يُعد وجودا إيجابيا، وإن لم تعترف لها بهذا الحق – المفترض – وقبول سيادتها وخدمتها ومعاداتها والعمل على هدم هذه الغاية وهذا الهدف الوجودي للأمة المختارة فإن وجود الأمم والشعوب يُعد وجودا سلبيا ومعارضا للإرادة الإلهية، ولهذا تحكم الرؤية اليهودية بحتمية زوال وفناء ودمار هذه الأمم والشعوب التي تتخذ هذا الموقف السلبي منها.

فالمكانة الوجودية الإيجابية للأمم والشعوب مرهونة بموقفها من قضية حق اليهود في حكم العالم وقبول سيادتهم وخدمتهم بل والتحول لإماء وعبيد لهم، فالأمة اليهودية هي الأمة التي تقف كوسيط بين الإله والعالم، فأعمالهم الطيبة هي التي تجعل الخير يعم على الجميع، وذنوبهم هي التي تأتي بغضب الإله على الجميع، وفي الرؤية القبّالية والرؤية التلمودية على حد سواء يسري ذلك الإحساس في كثير من صفحات التلمود بأن نهاية التاريخ ستشهد علو جماعة إسرائيل على العالمين ودمار أعدائهم من الشعوب الأخرى، المعادية لهم ولوجودهم.[1]

وهذا ما أشار إليه سفر إرميا في قوله: (**ستَأْتي أيّامٌ يقولُ الرّبُّ، أُقيمُ مِنْ نَسلِ داوُدَ مَلِكًا صالحًا، يَملِكُ ويكونُ حكيمًا ويُجري الحَقَ والعَدلَ في الأرضِ. 6في أيّامِهِ يُخلَّصُ شعبُ يَهوذا ويَسكُنُ بَنو إسرائيلَ في أمانٍ، ويكونُ اَسمُهُ: «الرّبُّ صادِقٌ معَنا».7«وستَأتي أيّامٌ لا يُقالُ فيها مِنْ بَعدُ: حَيًّ الرّبُّ الذي أخرَج بَني إسرائيلَ مِنْ**

1 – انظر – المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – ج 5 – ص 263

**أرضِ مِصْرَ، 8بل حيَّ الرّبُّ الذي أخرَجَ ذُرِّيَّةَ بَيتِ إسرائيلَ وجاءَ بهِم مِنْ أرضِ الشَّمالِ ومِنْ جميعِ الأراضي التي طَرَدْتُهُم إليها، فسَكَنوا في أرضِهِم).** [1]

فالحق والعدل في الأرض لن يتحققان إلا من بعد مجيء ملك من نسل داوود عليه السلام، واعتراف الأمم والشعوب بهذا الفضل الإلهي في تمكين ملك من نسل داوود على إقامة مملكة في الأرض الموعودة وجمع اليهود من العالم فيها تكون مركزا لإقامة الحق والعدل في الأرض.

يتنبأ سفر أشعياء بأن الرب سيرحم بيت إسرائيل في آخر الأيام، ويأتي بهم من جميع أنحاء الأرض الى الأرض الموعودة، وينضم الغرباء لهم في هذه الأرض، وأن الشعوب والأمم التي أخرجوهم منها سابقا سيمتلكهم بيت إسرائيل وسيكونون عبيدا واماء لهم فيها فيقول: **(الرّبُّ سيَرحَمُ بَيتَ إسرائيلَ، ويعودُ فيَختارُهُم شعبًا لهُ. يُريحُهُم في أرضِهِم فيأتيهُمُ الغريبُ وينضَمُّ إليهِم. 2والشُّعوبُ الذينَ أخذوهُم وجاؤُوا بهِم إلى أرضِهِم سيَمتَلِكُهُم بَيتُ إسرائيلَ في أرضِ الرّبِّ عبيدًا وإماءً. ويَسبونَ الذينَ سبَوهُم ويستَولونَ على الذينَ سَخروهُم).** [2]

ويتنبأ سفر أشعياء بأن هذا الملك الذي سيخرج من نسل يسّي، ويتحقق ملكه وقضاؤه على الأرض سيكون سببا في تحقيق السلام التام على الأرض وشعوبها بل والمخلوقات فيها فيقول: **(يخرُج فرعٌ مِنْ جذعِ يَسَّى وينمو غُصنٌ مِنْ أُصولِهِ. 2روحُ الرّبِّ ينزِلُ علَيهِ، روحُ الحِكمةِ والفَهْمِ والمَشورةِ روحُ القوَّةِ والمَعرفةِ والتَّقوى، 3ويبتَهِج بمخافةِ الرّبِّ. لا يقضي بحسَبِ ما ترَى عيناهُ ولا يحكُمُ بحسَبِ سَماعِ أُذُنَيهِ، 4بل يقضي للفُقراءِ بالعَدلِ ويُنصِفُ الظَّالِمينَ بكلامٍ كالعصا، ويُميتُ الأشرارَ بنَفخةٍ مِنْ شَفَتيهِ. 5يكونُ العَدلُ حِزامًا لوَسطِهِ والحَقُّ مِئزَرًا حَولَ خصرِهِ. 6فيَسكُنُ الذِّئبُ معَ الخروفِ، ويبيتُ النَّمرُ بجانِبِ الجدْيِ. ويَرعى العِجلُ والشِّبلُ معًا وصبيٌّ صغيرٌ يسوقُهُما. 7وتُصاحِبُ البقَرَةُ الدُّبَ ويبيتُ أولادُهُما معًا. ويأكُلُ الأسدُ التِّبنَ كالثَّورِ.**

1 – سفر إرميا 23: 5 – 8

2 – سفر أشعياء – 14: 1 – 2

**8يلعبُ الرَّضيعُ على وكرِ الأفعى، ويضَعُ يَدَهُ في مَكمَنِ الثُّعبانِ. <u>9لا يُسيءُ أحدٌ ولا يُفسِدُ أينما كانَ في جبَلي المُقدَّسِ لأنَّ الأرضَ تَمتلئُ مِنْ مَعرفةِ الرّبِّ</u>، كما تملأُ المياهُ البحرَ).** [1] فالسلام في الأرض لن يتحقق إلا بعد وصول ملك من نسل داوود عليه السلام وسيادته على جميع الأمم والشعوب.

ويشير سفر إرميا إلى أن الموقف الصحيح الذي كان على الأمم ورعاتها اتخاذه تجاه الشعب المختار هو الاعتراف بفضله وعدم تبديده أو التحكم فيه، ويتنبأ بتحول الأحداث التاريخية وقيام مملكة يحكمها ملك من نسل داوود عليه السلام، وأن الأمم والشعوب ستعترف بما سيفعله الرب لشعبه.

فقد ورد في سفر إرميا قول الكاتب: **(<u>ويلٌ لِلرُّعاةِ الذينَ يَبيدونَ ويُبَدِّدونَ غنَمَ رَعيَّتي يقولُ الرّبُّ</u>.2وهذا ما تكَلَّمَ بهِ الرّبُّ إلهُ إسرائيلَ على أُولئِكَ الرُّعاةِ الذينَ يَرعَونَ شعبي: «<u>أنتُم بَدَّدْتُم غنَمي وطَردتُموها وما تَفَقَّدْتُموها. فسأُعاقِبُكُم على شَرِّ أعمالِكُم 3وأجمَعُ بَقِيَّةَ غنَمي مِنْ جميعِ الأراضي التي طَرَدْتُها إليها وأرُدُّها إلى حظائِرِها، فتُثمِرُ وتَكثُرُ</u>، 4وأُقيمُ علَيها رُعاةً يَرعَونها، فلا تخافُ مِنْ بَعدُ ولا تَفزَعُ ولا يكونُ فيها مَفقودٌ يقولُ الرّبُّ.5«ستَأْتي أيّامٌ يقولُ الرّبُّ، <u>أُقيمُ مِنْ نَسلِ داوُدَ مَلِكًا صالحًا، يَملِكُ ويكونُ حكيمًا ويُجري الحَقَ والعَدلَ في الأرضِ</u>. <u>6في أيّامِهِ يُخلَّصُ شعبُ يَهوذا ويَسكُنُ بَنو إسرائيلَ في أمانٍ</u>، ويكونُ اَسمُهُ: «الرّبُّ صادِقٌ معَنا».7«وستَأْتي أيّامٌ لا يُقالُ فيها مِنْ بَعدُ: حَيًّ الرّبُّ الذي أخرَج بَني إسرائيلَ مِنْ أرضِ مِصْرَ، 8بل حيًّ الرّبُّ الذي أخرَج ذُرِّيَّةَ بَيتِ إسرائيلَ وجاءَ بهِم مِنْ أرضِ الشِّمالِ ومِنْ جميعِ الأراضي التي طَرَدْتُهُم إليها، فسَكَنوا في أرضِهِم).** [2]

وتنبأ سفر المزامير بأن الأشرار الذين يعارضون إرادة الإله ويقفون في وجه ميراث شعبه المبارك سيهلكون ويفنيهم الرب من وجه شعبه المختار ومن الأرض كلها، فيقول: **(لأَنَّ سَوَاعِدَ الأَشْرَارِ تَنْكَسِرُ وَعَاضِدُ الصِّدِّيقِينَ الرَّبُّ. <u>18الرَّبُّ عَارِفٌ أَيَّامَ الْكَمَلَةِ</u>**

---

1 - سفر أشعياء 11: 1 – 9

2 - سفر إرميا 23: 1 – 8

**وَمِيرَاثُهُمْ إِلَى الأَبَدِ يَكُونُ. 19لاَ يُخْزَوْنَ فِي زَمَنِ السُّوءِ وَفِي أَيَّامِ الْجُوعِ يَشْبَعُونَ.
20لأَنَّ الأَشْرَارَ يَهْلِكُونَ وَأَعْدَاءُ الرَّبِّ كَبَهَاءِ الْمَرَاعِي. فَنُوا. كَالدُّخَانِ فَنُوا. 21الشِّرِّيرُ
يَسْتَقْرِضُ وَلاَ يَفِي أَمَّا الصِّدِّيقُ فَيَتَرَأَّفُ وَيُعْطِي. 22لأَنَّ الْمُبَارَكِينَ مِنْهُ يَرِثُونَ الأَرْضَ
وَالْمَلْعُونِينَ مِنْهُ يُقْطَعُونَ. 23مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَرُّ.
24إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ. 25أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً
تُخُلِّيَ عَنْهُ وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً. 26الْيَوْمَ كُلَّهُ يَتَرَأَّفُ وَيُقْرِضُ وَنَسْلُهُ لِلْبَرَكَةِ. 27حِدْ
عَنِ الشَّرِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ وَاسْكُنْ إِلَى الأَبَدِ. 28لأَنَّ الرَّبَّ يُحِبُّ الْحَقَّ وَلاَ يَتَخَلَّى عَنْ
أَتْقِيَائِهِ. إِلَى الأَبَدِ يُحْفَظُونَ. أَمَّا نَسْلُ الأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ. 29الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ
وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ).** [1]

1 – سفر المزامير 37: 17 – 29

**الخاتمة:**

**آثار التصور للمكانة الوجودية للذات والآخر في الرؤية اليهودية للعالم**

إن دراسة الرؤية اليهودية للعالم والتي تتضمن الرؤية اليهودية لمكانة الذات الإنسانية اليهودية ومكانة الآخر الإنساني غير اليهودي في هذا العالم وعلاقتها فيه وفي تكوينه، وبناء على المقاصد الوجودية التي تم التوصل اليها من خلال البحث في هذا الموضوع، نجد أنها تنتج مجموعة من الآثار السلبية على مستوى الرؤية الدينية اليهودية للعالم وعلى عدة مستويات إنسانية واجتماعية ودينية، في صياغة الشخصية اليهودية ورؤيتها للعالم والإنسان وموقفه من الآخر.

**أولا: على مستوى الرؤية اليهودية للعالم**

إن من أهم الآثار السلبية المتعلقة بالرؤية اليهودية للعالم من خلال رؤيتها لمكانة الذات اليهودية الوجودية مقابل مكانة الآخر في هذا الوجود، أنها تحوّل الرؤية اليهودية للعالم من رؤية تخرج من حدود الذات للوصول إلى الآخر إلى رؤية ترتد إلى داخل الذات اليهودية بصورة دائمة، وتتمركز حول الذات بصورة أقرب إلى التأليه والتقديس من خلال ربطها بوجود ذات الإله نفسه، والمقاصد التي لأجلها أوجد الذات اليهودية في هذا العالم.

ومن أهم الآثار كذلك أنها تحوّل الرؤية اليهودية للعالم من رؤية كونية شاملة إلى رؤية يهودية خاصة، فهي لا ترى وجود الإله والكون والعالم والحياة والإنسان إلا من خلال وجود الذات اليهودية، فتحوّل الذات اليهودية إلى معيار محوري يتحكم بالأحداث الكونية والحياتية الإنسانية في جانبي الخير والشر ويتم من خلاله تفسير أسباب وجود الخير والشر في هذا العالم.

وبهذا تتحول هذه الرؤية إلى رؤية وثنية حتى داخل إطارها التوحيدي، فهي تعمل على تصنيم الذات اليهودية في تقرير طبيعة وجودها ومكانتها في هذا العالم، من خلال تحويلها للذات اليهودية من ذات إنسانية مجردة داخلة في إطار التكليف الإلهي والثواب والعقاب إلى ذات تمثل الواسطة بين البشرية والإله فلا إصلاح ولا صلاح ولا سلام للحياة الإنسانية إلا من خلالها ، ولا قبول أو خلاص لأمة من الأمم عند الإله إلا بالإذعان

لهذه الذات اليهودية، فإن كان الوثنيون القدماء لأجل خلاصهم عبدوا أصناما مادية تقربهم إلى الله أو إلى إله السماء – كما كانوا يعتقدون– فقد أوجدت الرؤية اليهودية للعالم صنما معنويا للبشرية جمعاء تتوجب عبادته حتى تصل إلى خلاصها.

**ثانيا: على المستوى الإنساني**

لقد أثرت هذه الرؤية في مستوى نظرتها الإنسانية تأثيرا سلبيا كبيرا، يؤدي إلى تحطيم جميع المعاني الإنسانية التوافقية والعادلة، وذلك من خلال إيمانها واعتقادها بصدور الوجود الإنساني – غير اليهودي– عن القوى الظلامية التي أوجدت أصل الشر في هذا العالم، حتى أن الخيرين من غير اليهود تعد أرواحهم أرواحا يهودية ضلت طريقها في أصل وجودها وانتسابها للجانب الظلامي من الوجود الإنساني.

وهذه الرؤية ستُنتج حتما جميع معاني وسلوكيات عدم احترام إنسانية الإنسان، وعدم احترام وجوده في هذه الحياة، وعدم وجود أية كرامة إنسانية لذاته، فهي تحول الوجود الإنساني من وجود كامل الإنسانية إلى وجود إنساني ناقص، وبالتالي لا يمكن الحديث في إطار هذه الرؤية وسياقاتها عن أية حقوق وجودية إنسانية أو حقوق حياتية إنسانية، فهي رؤية ترتكز على النظرة الاقصائية لوجود الآخر بل والحكم الإلهي الحتمي بفناء وجوده من هذه الحياة إلا في حالة واحدة وهي الإذعان المطلق لوجود الذات اليهودية ومركزيتها في هذا الوجود وهذه الحياة.

وإن من أخطر الآثار التي أنتجتها هذه الرؤية على المستوى الإنساني هو تبريرها الاعتداء على إنسانية الإنسان ومكافحة وجوده أو إنهائها بكافة السبل اللاإنسانية التي تصبح مقبولة في هذه الرؤية وسياقاتها، وتحويل هذا التبرير إلى تبرير ديني ومطلب إلهي متوافق مع الإرادة الإلهية التي تحكم بضرورة إنهاء وجود الآخر الإنساني طالما أنه يصر على تبني مخالفة الإرادة الإلهية بعدم الإذعان للمكانة الوجودية للذات اليهودية.

**ثالثا: على المستوى الاجتماعي**

تؤثر الرؤية اليهودية لمكانة الذات اليهودية مقابل مكانة الآخر في هذا الوجود على الجانب الاجتماعي بصورة سلبية تفكيكية واضحة، حيث تعمل على تفكيك العلاقة بين اليهود وغيرهم من الأمم التي يمكن أن يتواجدوا أو يعيشوا بينها في إطار جغرافي

أو اجتماعي واحد، وتفكيك جميع المعاني الاجتماعية القائمة على التعايش والوئام والسلم الاجتماعي والحياتي.

فكيف يمكن لليهودي أن يكون مؤهلا لقبول الآخر والتعايش معه في الاطار الاجتماعي في حين انه يرى الآخر على أساس أنه يحرمه من حقه في إصلاح الخلل الكوني وأداء دوره في هذا الإصلاح، وينظر لهذا لمجتمع على أساس أنه يقف عقبة أمام تمكنه من تكوين مملكته الإلهية الخاصة به، ويجبره على الرضوخ لسلطة بشرية متحكمة في الإطار الجغرافي الذي يعيش فيه، وينظر لهذا المجتمع وجميع أفراده على أساس أنهم عبيدا وإماء له ، ولا يمنعه من استعبادهم إلا عدم تمكنه من حكمهم والسيادة عليهم وهم يشكلون العقبة الأساسية لعدم تحقيق هذا الحكم؟.

ولهذا فإن اليهودي لابد أن يستبطن جميع مشاعر ومعاني العداء والانتقام لأي مجتمع يعيش فيه ولابد أن تنعكس هذه المشاعر والمعاني السلبية والعدائية على سلوكياته في المجتمع، مهما بذل المجتمع من جهود للتعايش معه أو احتوائه أو منحه حقوقه أو احترامه واحترام إنسانيته أو التعامل معه بالعدل والإنصاف والكرامة، فمهما قدم المجتمع لليهودي فلن تصلح علاقته به طالما أنه لم يخضع له خضوعا مطلقا ويؤمن بمكانته في هذا الوجود ويحقق له أهدافه فيه.

ولهذا يميل اليهودي إلى العيش داخل نوعين من الـ "الجيتو": "الجيتو المكاني" وهو الذي يحدد فيه وجوده المكاني بصورة منعزلة عن الآخر وبصورة مغلقة لا تقبل العيش المشترك مع استحضار معاني الأمان الاجتماعي، و"الجيتو النفسي" الذي ينفذ إلى أعمق نقطة في نفسية الانسان اليهودي والذي يعيش في داخله بصورة منعزلة عن الآخر رافضة لوجوده غير متقبلة لإنسانيته غير متقبلة لإحسانه أو جواره أو أية علاقة اجتماعية معه، وتفرض عليه مشاعر عميقة باختلافه عن الآخر منذ اللحظة الأولى في أصل وجوده إلى اللحظة الأخيرة في انتهاء وجوده، ولهذا أدت هذه الرؤية إلى تفكيك أي دور إصلاحي لليهودي في أي مجتمع يعيش فيه، فهي رؤية لا تنظر إلى دور اليهودي الإيجابي في المجتمعات الإنسانية وإنما تنظر إلى الدور الإيجابي للمجتمعات الإنسانية تجاه اليهودي، وما يمكن أن تقدمه له بناء على الاعتراف بمكانته الوجودية في هذه

الحياة وفي المجتمع الإنساني، ولهذا عملت هذه الرؤية ومقوماتها على تفكيك علاقة الإنسان اليهودي بغيره من المجتمعات البشرية بصورة شاملة.

**رابعا: على المستوى الديني**

إن هذه الرؤية تؤثر تأثيرا سلبيا كبيرا على المستوى الديني، من خلال نظرتها للحياة الدينية للمجتمعات الإنسانية كافة، فهي رؤية متمركزة بصورة عميقة حول الدين اليهودي وعلاقة الإنسان اليهودي به وبمقوماته، وامتدادته الدينية لمعاني الوجود والحياة، وبالتالي فهي لا تقبل أي صورة من صور التعايش الديني أو تقبل الآخر مع اعتناقه أو إيمانه بدين مختلف، فهي رؤية تنتقل من عدم الإكراه في الدين إلى الإكراه الجبري للدين اليهودي وتصوراته التاريخية والمستقبلية وترى أنه يتوجب على جميع الأمم والشعوب الإذعان للمكانة التي أقرها الإله لليهود من خلال دينهم ومعتقداتهم مع عدم اعتناق اليهودية من الناحية الدينية وعدم الدخول في إطار الشعب المختار.

وإن هذه الرؤية لا تستحضر أي هدف أو مقصد له علاقة بهداية الإنسان والمجتمعات البشرية إلى الطريق الديني القويم وإلى عبادة الإله الحق، وإنما تستحضر بصورة مركزة ضرورة إذعان الأمم والشعوب للشعب المختار الذي يحمل هذا الدين وليس للدين نفسه وما قد يتضمنه من معان للهداية، وهذا الأمر يؤدي تفكيك أي دور ديني أو مسؤولية دينية لليهودي تجاه المجتمعات الإنسانية، وبالتالي قبول سلوكياتها الضالة ومعاصيها وأخطائها بل والعمل على تعزيز الضلال فيها من خلال النظر إلى أنها مجتمعات لا تستحق اتباع السلوك الديني القويم وأنه لا يمكن الجمع بين أصل وجودها من الشر والظلام في هذا الوجود والسلوك الديني القويم.

ويمكن الحديث عن جوانب أخرى ومستويات أخرى لتأثير هذه الرؤية على الحياة الإنسانية والتي يمكن إفرادها في بحث مستقل، وسأنهي حديثي في هذه الخاتمة التي أفردتها للحديث عن جوانب ومستويات التأثير السلبي الذي انتجته هذه الرؤية وخصوصا على الإنسان اليهودي، بالقول بأن هذه الرؤية كانت أهم أسباب ومصادر الموقف اليهودي من الآخر بشكل عام، وأن هذا الموقف اليهودي السلبي من الآخر لم يأت من فراغ وإنما

جاء من خلال مجموعة مقدمات ومقومات لها علاقة بكيفية فهم وتصور الإنسان اليهودي لنفسه وللآخر في هذا الوجود.

**أهم النتائج**

بعد دراسة هذا الموضوع والعمل على معالجة إشكاليته الأساسية والأسئلة المتفرعة عنها، نتوصل إلى تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث وهي:

**أولا:** إن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والآخر أسهمت في تكوين وصياغة الرؤية اليهودية العامة للعالم والإنسان.

**ثانيا:** إن الرؤية اليهودية للعالم والإنسان حددت ثلاثة مقاصد ومقومات تعبر عن المكانة الوجودية للإنسان اليهودي وهي: مهمة اليهود بإصلاح الخلل الكوني، إقامة مملكة إله اليهود في العالم، حكم العالم والسيادة على أمم الأرض.

**ثالثا:** إن الرؤية اليهودية للعالم والإنسان حددت ثلاثة مقاصد ومقومات تعبر عن المكانة الوجودية للإنسان غير اليهودي وهي: الإذعان لمهمة اليهود بإصلاح الخلل الكوني، والاذعان لمملكة إله اليهود وتمكينهم من إقامتها، والإذعان للإرادة الإلهية بحق اليهود في حكم العالم والسيادة على أمم الأرض.

**رابعا:** إن من أهم مصادر الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والأخر النصوص الدينية في المصادر الدينية اليهودية والمقدسة وخصوصا التوراة، والعقائد التأسيسية التي أحدثتها هذه المصادر، وبعض التحولات التاريخية الهامة، وسمات النفسية والشخصية اليهودية.

**خامسا:** إن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والآخر أثرت تأثيرا سلبيا كبيرا في طبيعة الرؤية اليهودية العامة والشاملة للعالم والإنسان.

**سادسا:** إن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والآخر أثرت تأثيرا سلبيا كبيرا في الفكر اليهودي وسلوك الإنسان اليهودي على عدة مستويات وجوانب إنسانية واجتماعية ودينية.

**سابعا:** إن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والآخر لا تتوافق مع مقومات الحياة الإنسانية والاجتماعية والفطرية العادلة، وأدت إلى تفكيك المفاهيم اليهودية الإنسانية وتفكيك العلاقات الاجتماعية التي تربط اليهودي بالآخر.

**ثامنا:** إن الرؤية اليهودية للمكانة الوجودية للذات والأخر تُعد من أهم مصادر ودوافع الموقف اليهودي من الآخر.

**<u>المصادر والمراجع:</u>**

**أولا: المصادر والمراجع العربية**


- البحرة، نصر الدين – نفسية اليهودي في التاريخ –– مكتبة الأسد، دمشق – ط 1 – 2000 م
- بن نبي، مالك – المسألة اليهودية – دار الفكر، دمشق – ط 2012 م
- الجميلي، عبد الله – بذل المجهود في اثبات مشابهة الرافضة لليهود – مكتبة ابن تيمية – ط 1 – 1992 م
- حلبية، عاطف عثمان – مدخل الى العقيدة اليهودية – ب. د
- خليل، علي – اليهودية بين النظرية والتطبيق– منشورات اتحاد الكتاب العرب – ط 1997 م
- سعد الدين، نادية – الحركات الدينية السياسية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي – مركز الجزيرة للدراسات – الدار العربية للعلوم ناشرون – ط 1 – 2012 م
- سعيد، حبيب – أديان العالم الكبرى – دار الشرق والغرب، القاهرة – ط 2، ب.ت
- سوسه، أحمد – أبحاث في اليهودية والصهيونية – دار الأمل، الأردن – ط 2003 م
- الشامي، رشاد– الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية – مجلة عالم المعرفة، الكويت – العدد 102 – 1986م
- كامل، مجدي – آل روتشيلد – دار الكتاب العربي، دمشق – القاهرة – ط 2014 م
- المسيري، عبد الوهاب – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دار الشروق، القاهرة– ط 1، 1999م
- معدي، الحسيني– القبالة وشفرة التوراة والعهد القديم – دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة – ط 1 – 2007 م
- ملكاوي، فتحي حسن – رؤية العالم، حضور وممارسات في الفكر والعلم والتعليم – المعهد العالمي للفكر الإسلامي – عمان، الأردن – ط 1، 2021 م


**ثانيا: المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة**


- آرمسترونغ، كاثرين – الله والإنسان، على امتداد 4000 سنة من إبراهيم حتى العصر الحاضر – ترجمة محمد الجورا – دار الحصاد، دمشق – ط 1، 1996 م

- جري، ألبان ويد – التاريخ وكيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي – ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد – الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة – ط 2، 1996 م
- ريد، دوغلاس – الجدل حول صهيون – ترجمة اديب فارس – دار علاء الدين، دمشق – ط 2، 2007 م
- سبينوزا، باروخ – رسالة في اللاهوت والسياسة – ترجمة د. حسن حنفي – دار **التنوير**، بيروت – ط 1، 2005م
- شاحاك، إسرائيل – الديانة اليهودية وموقفها من الآخر – ترجمة حسن خضر – دار سينا، القاهرة – ط 1، 1994م
- غرانوتييه، بيرنار – إسرائيل سبب محتمل لحرب عالمية ثالثة – ترجمة محمد سميح السيد – مركز الدراسات العسكرية – دمشق ط 1984 م
- فريزر، جيمس – الفلكلور في العهد القديم – ترجمة د. نبيلة إبراهيم – دار رؤية للنشر، القاهرة – ط 1، 2016 م
- فورد، هنري – اليهودي العالمي – ترجمة أكرم مؤمن – مكتبة ابن سينا، القاهرة – ط 1، 2013 م
- الفيومي، سعديا جاؤون – الأمانات والاعتقادات
- القرطبي، موسى بن ميمون– دلالة الحائرين– ترجمة حسين اتاي – مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة – ط 2002 م.
- هاليفي، يهوذا – الحجة والدليل في نصر الدين الذليل – ترجمة ليلى إبراهيم أبو المجد – المركز القومي للترجمة، القاهرة – ط 1 – 2014 م
- هيرتزل، صموئيل – الدولة اليهودية – ب. ت – ب. د
- ياكوبوتشي، مايكل انجلو – أعداء الحوار – أسباب اللاتسامح ومظاهره – ترجمة د. عبد الفتاح حسن – الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة – ط 1، 2010 م


**ثالثا: المراجع الأجنبية، ومراجع التناخ اليهودي**


- التوراة العبرية – التناخ – توراه، نفيئيم، كتوفيم – طبعة دار داني سفريم " **דני ספרים** " – مدينة كريات جات " **קרית גת**".
- الفغالي، بولس– عوكر، أنطوان – العهد القديم العبري ترجمة بين السطور– الجامعة الانطوانية– توزيع المكتبة البولسية – جونيه، لبنان – ط 1، 2007م

- الكتاب المقدس – العهد القديم – ترجمة فانديك وسميث – موسوعة الكتاب المقدس – الإصدار الرابع
- *Laitman, Rav Michael - A Guide to the Hidden Wisdom of Kabbalah - LAITMAN KABBALAH PUBLISHERS - Third Edition – 2009*
- *Huss, Boaz - THE NEW AGE OF KABBALAH Contemporary Kabbalah, the New Age and postmodern spirituality - Journal of Modern Jewish Studies - London W1T 3JH, UK – 2007*